

جامعة المنصورة

كلية الآداب

قسم التاريخ

## الحضارة والآثار الإسلامية

مختبر

حسين عبد الرحيم عليوة

أستاذ التاريخ والآثار الإسلامية

أكتوبر ١٩٩٧

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تقديم

يقصد بالحضارة الإسلامية ما نشط فيه المسلمون في مظاهر حياتهم المختلفة وما حققوه من نجاح في البلدان التي استقطبت بظلال الإسلام ، وذلك في فترة امتدت عشرة قرون تقريبا فيما بين القرنين الأول والحادي عشر الهجري ( ٧ - ١٧ م ) كانت للحضارة الإسلامية السيادة والغلبة على سائر الحضارات السابقة عليها أو المعاصرة لها ، وقد شملت مجالات الحضارة الإسلامية كل مظاهر الحياة الإنسانية في العالم الإنساني من أنظمة إدارية ومالية وقضائية وحربية عديدة وكذا مظاهر النشاط في مجالات العلوم والآداب والزراعة والصناعة والتجارة والنقل وإنشاء المدن وتعميرها وتأثيرها بما تحتاج إليه من قطع الأثاث والأدوات والآنية والفرش والمعدات وكلها تمثل نتاج مجموعة كبيرة من الحرف والصناعات والفنون التي أجادها أصحاب الحرف والفنانون في المجتمع الإسلامي .

كما لعبت معظم الحواضر والمدن الإسلامية دورا هاما في نشر هذه الحضارة وتمييزها فكانت دمشق وحلب بالشام ، والفسطاط والقاهرة بمصر ، وبغداد وسامرا بالعراق ، وتبريز وأصفهان بإيران ، والقيروان وفاس بالمغرب ، وغرناطة وطليطلة بالأندلس ، وغيرها مراكز إشعاع حضارية إسلامية في شتى المجالات ولا تزال أثارها الباقية تشهد على ما بلغته من مكانة حضارية متميزة عمرت عدة قرون .

ولم يقتصر انتشار الحضارة الإسلامية على عالم الاسلام وحده ، وإنما تعداه إلى خارجه حيث تأثرت بالحضارة الإسلامية القارة الأوربية وذلك من خلال عدة نوافذ ومعابر كان من أهمها جزيرة صقلية التي خضعت للحكم الإسلامي عدة قرون وكذا الأندلس وحضارتها التي شملت جزءا من القارة الأوربية نفسها ، كما لعبت الحروب الصليبية دورا لا يستهان به في نقل مظاهر حضارة الشرق الإسلامي إلى

الغرب الأوربي ، بالإضافة لدور التجارة وتبادلها بين الشرق والغرب ، ومروها عبر بلدان الشرق - فى نقل الكثير من منتجات الشرق إلى أوروبا .

وتعرض الصفحات التالية فى إيجاز للأسس التى قامت عليها الحضارة الإسلامية ومراكزها ومجالاتها ومظاهرها المختلفة - أما الشق الثانى من هذه المذكرة فيتناول بالتعريف الآثار الإسلامية ، وهى وثيقة الصلة بالحضارة الإسلامية بل هى النتاج المادى الباقى من عطاء هذه الحضارة فى مجالات العلوم والآداب والفنون والعمائر والتحف الأثرية التى وصلتنا من العصور والبلدان الإسلامية المختلفة .

ويبقى فى نهاية هذه التقديم أن أشير إلى أهمية تخصيص أحد المقررات الدراسية بقسم التاريخ للحضارة والآثار الإسلامية ، فهذه أول مرة يتم فيها تعريف طلاب قسم التاريخ بالحضارة والآثار الإسلامية معا من خلال مادة مستقلة وهو ما يذكر بالفضل للأنحة الجديدة للكلية التى بدأ تطبيقها من العام الجامعى ٩٣ / ٩٤ .

وبالله التوفيق

**الباب الأول**  
**نظم الحضارة الإسلامية**  
**ومظاهرها**



## أسس الحضارة الإسلامية

من المعروف أن لكل حضارة مجموعة من الأسس والمقومات التي تعتمد عليها وتتأثر بها فتظهر بصماتها واضحة على كثير من مظاهرها ، ولقد قامت الحضارة العربية الإسلامية على كثير من الأسس والأصول الروحية والمادية والبشرية نتعرف عليها فيما يلي :

### أولا : الأسس الروحية :

بعد القرآن الكريم الأسس الأول ، والأصل الثابت الذي قامت عليه حضارة العرب والمسلمين ، وهذا ليس بغريب ، فالقرآن هو دستور المسلمين وكتابهم المقدس الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فضلا عن انفراده بميزة لم تتوفر في الكتب السماوية السابقة عليه وهي عدم تغييره أو تبديله أو تحريفه - ومن هنا جاء القرآن الكريم متما لها جميعا ، وكانت آياته وسورة تجمع وتحفظ في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام بحفظه أو بكتابه على ما توفر في ذلك الوقت من مواد كقطع الخشب أو النسيج أو جريد النخل ، أو كسر الفخار وقطع العظام وغيرها ، وأشرف الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه على جمع ما كتب منه مستعينا في ذلك بحفظته من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه تم ترتيب القرآن الكريم وحفظه عند أبنته السيدة حفصة زوجة الرسول عليه الصلاة والسلام وأم المؤمنين ، وشهد عهد الخليفة الثالث عثمان ابن عفان رضي الله عنه كتابة القرآن الكريم من عدة نسخ على صحائف من الرق (جلد رقيق يؤخذ من جلود بعض الحيوانات) ثم وزعت هذه النسخ على الأمصار المختلفة لتكون أساسا وأصلا ينسخ منه القرآن الكريم ، ولا تزال المصاحف الشريفة تكتب حتى الآن وتطبع وفقا " للرسم العثماني " نسبة إلى نقلها من المصحف الإمام الذي تعود كتابته إلى عهد الخليفة عثمان كما ذكرنا .

وقد قامت على تفسير القرآن الكريم وشرح آياته عدة علوم منذ البدايات الأولى للإسلام وحتى الآن ، وأنشئت المعاهد والمدارس والجامعات المتخصصة

فى علوم القرآن وتفسيره فى كافة أنحاء العالم الإسلامى ، ووصلت تفاسير عديدة للقرآن الكريم تعد خير نتاج لجهود علماء المسلمين ومفسريه ومن أشهرها تفاسير عبد الله بن عباس ، والسدى ، وابن مسعود ، والطبرى ، وابن كثير ، والنسفى وغيرهم .

وتعتبر سيرة النبى - صلى الله عليه وسلم - وسنته وأحاديثه الشريفة الأساس الثانى للحضارة الإسلامية ، وذلك أن الإيمان برسالة النبى محمد صلى الله عليه وسلم يمثل الشطر الثامن من عبارة التوحيد (لا اله إلا الله محمد رسول الله) فضلا عما تمثله حياة النبى وأعماله من قدوة حسنة وما تفسره وتشرحه أحاديثه الشريفة من آيات القرآن الكريم ، من هناك كان الاعتماد عليها أساسيا فعكف الصحابة والعلماء والفقهاء على دراسة سنة النبى وشرح أحاديثه ، فظهرت علوم الحديث النبوى الشريف ، وشارك فيها عدد كبير من علماء المسلمين وفقائهم على مر العصور ، ويعتبر كتاب (الموطأ) للإمام مالك بن أنس المتوفى سنة ١٥١هـ أول كتاب متخصص فى الحديث النبوى الشريف كما يعد كتاب (المغازى) لابن اسحاق المتوفى سنة ١٧٩هـ أول كتب السيرة النبوية الشريفة ، وقد كان لدراسة سيرة النبى عليه الصلاة والسلام وأحاديثه الشريفة أثر كبير على نفوس المسلمين وسلوكهم مما صبغ الحضارة بطابع المثالية والصدق وهما بعض صفات نبيهم الكريم عليه الصلاة والسلام .

#### ثانيا : الأسس المادية :

يأتى الموقع الجغرافى فى مقدمة الأسس المادية التى كان لها أثر كبير فى تشكيل الحضارة الإسلامية وانتشارها ، ذلك أن موقع العالم الإسلامى يتميز بالتوسط ويربط بين قارات العالم القديم آسيا وأفريقيا وأوروبا حيث تمتد رقعة العالم الإسلامى فيما بين الهند وحدود الصين شرقا والمحيط الأطلسى غربا ، وبين جبال آسيا الصغرى وجبال البرانس شمالا إلى أواسط أفريقيا والبحر العربى جنوبا .

ومن الملاحظ أن الجزيرة العربية - مهد الإسلام تحتل من هذه الرقعة الواسعة موقع القلب من الجسد مما أعطاهما ميزة كبيرة ظهرت عندما خرج العرب المسلمون منها لنشر الدين الجديد في البلدان المحيطة بجزيرتهم العربية  
ومن الملاحظ أيضا أن هذه المساحة الكبيرة تمتد امتدادا غير مقطوع مما ضاعف من سهولة اتصال بلدان العالم الاسلامى وربطها ببعض برباط وثيق ، وساعد في الوقت نفسه على انتشار الطرز الحضارية بسرعة بين أرجائها .

وتتضمن هذه المساحة الكبيرة أقاليم جغرافية متنوعة في التضاريس والمناخ فبينما تتبسط أراضي العراق ومصر وتشهد الحرارة فيهما ترتفع أراضي الشام واليمن وتعتدل الحرارة فيهما صيفا ، وقد أفاد هذا التباين في تنوع غلات هذه المساحة مما وفر لعالم الإسلام الاكتفاء الذاتى بخيراته الكثيرة والمتنوعة ، وقد ضاعفت من أهمية موقع العالم الإسلامى نزول الأديان السماوية في أرضه وكان الله سبحانه وتعالى اختص هذه المنطقة بالذات بالهداية على أيدي صفوة من الأنبياء من أبنائها بشروا بمبادئ اليهودية والمسيحية والإسلام .

وتعد اللغة العربية من أهم الأسس المادية التى اعتمدت عليها الحضارة الاسلامية ، والمعروف أن اللغة تمثل عصب أية حضارة ، وكان لنزول القرآن الكريم بلسان عربى أثره في زيادة أهمية هذه اللغة فهى لغة القرآن ، ولغة أداء العبادات ، ولغة الحاكم ، وأصبحت بعد عدة عشرات من السنين لغة الدواوين ، وكلها عوامل جعلت اللغة العربية تنتشر حيثما انتشر الإسلام ، فقد تسابقت الشعوب غير العربية في تعلمها واتقانها مما أدى إلى زيادة ظاهرة الاستعراب عندما تركت تلك الشعوب لغاتها الأولى كالمصرية القديمة أو اليونانية واستخدمت اللغة العربية بدلا منها .

وقد تميزت اللغة العربية عن غيرها من اللغات بأن حروفها تغطي كل مخارج الأصوات وبغناها بالمفردات ، وبكثرة المترادفات اللفظية ، وتنوع التراكيب اللغوية - وجمال الصور البيانية وسهولة قواعدها ، وليس أدل على ذلك من اتخاذها

وسيلة لنقل المعارف غير العربية إليها ، ونقل المعارف العربية إلى الحضارات الأخرى بلغاتها .

وسارت الكتابة بالخط العربى كظل للغة العربية ، ولهذا انتشرت الكتابة العربية فى سائر بلدان العالم الإسلامى ، وحظيت حروفها بعناية الخطاطين المسلمين فأخضعوها لمحاولات التهذيب والتحسين والزخرفة ، ولهذا تعددت أنواع الخط العربى الكوفية والنسخية ، بل وأصبحت حروف الخط العربى عنصرا زخرفيا له قيمته الأساسية بفضل ما توفر لحروفه من مطاوعة ومرونة وقابلية للمد والتنى والاستدارة والبسط والتشكيل فى صور عديدة ، وكان من نتائج هذا أن ارتقى فن الخط العربى ليصبح فى مقدمة الفنون الإسلامية فيه بل العلامة المميزة لها .

ولا يقل التراث الحضارى أهمية عن الأسس التى سبقه ذكرها ، فالمعروف أن الحضارة لا تنشأ من فراغ ، وإنما تستفيد من الحضارات السابقة عليها أو المعاصرة لها وتتأثر بكثير من مظاهرها ، ولقد تأثرت الحضارة الإسلامية بالحضارات التى سبقتها فى المناطق التى انتشرت فيها ، كما أن الجزيرة العربية لم تكن بعيدة عن التحضر والمدنية ، فقد كانت موطننا كحضارات قديمة قبل ظهور الإسلام كحضارات معين وسبأ وحمير وحضارة الأنباط فى شمال الجزيرة العربية التى كان من أهم تأثيراتها اشتقاق الخط العربى من خطها النبطى ، كما أن وسط الجزيرة العربية شهد قيام نظام قبلى فى المدن الرئيسية مثل مكة ، ويثرب ، والطائف - وكانت له نظمه وتقاليده وتجارته الواسعة وأسواقه الشهيرة وكلها مظاهر حضارية لا يمكن تجاهلها ونحن نؤصل للحضارة الإسلامية ، يضاف إلى هذا تأثر الجزيرة العربية قبل الإسلام بالحضارات المتاخمة لها كالحضارة الساسانية من جهة الشرق والحضارة البيزنطية من جهة الغرب مما جعل العرب يقفون على كثير من الصناعات والفنون لدى هذه الحضارات كصناعة الأسلحة والأقمشة والأثاث والآنية الفخارية والخزفية والمعدنية وغيرها وزادات معرفتهم بها بعد دخولهم البلاد التى كانت تسود بها هذه الحضارات .

### ثالثا : الأسس البشرية .

ونعنى بها البشر الذين قامت على أكتافهم وبأيديهم وعقولهم مظاهر الحضارة الإسلامية سواء كانوا من العرب أنفسهم أو من الشعوب غير العربية التى دخلت فى الإسلام وأسهمت فى بناء حضارته إسهاما لا يقل عن إسهام العناصر العربية ، فقد أصبح من غير المقبول الآن القول بأن بداوة العرب حالت دون إسهامهم فى بناء الحضارة الإسلامية ، وأن الشعوب غير العربية هى صاحبة الفضل الأكبر فى بنائها ، ذلك أنه من الثابت أن العرب على بداوتهم كانت لهم خواطر حضارية واضحة فى أسواقهم ومعاملاتهم مع الأجناس الأخرى ، وكانت لهم مبانيهم ونقوشهم وفنونهم حيث كانوا يزينون واجهات مبانيهم برسوم منحوتة أو مصورة لحيوانات وطيور فى أوضاع مختلفة بين انقضااض وعدو واستسلام ، كما كانت لهم صناعاتهم اليدوية للنسيج والمعادن والجلود وغيرها ، ويضاف لكل هذا لغتهم العربية التى نزل بها القرآن الكريم فيما بعد ، تلك اللغة التى قامت عليها فنونهم الأدبية من شعر ونثر وخطابة وقصص ، كما كانت لهم تقاليدهم المرعية وخصالهم الحميدة من شجاعة وكرم وفروسية وهى خصال لا تتوفر إلا لقوم متحضرين ، ولولا تحضر العرب ما نجحوا عند خروجهم من شبه الجزيرة العربية لنشر الدين الإسلامى فى احتكاكهم مع الأقوام الأخرى الأكثر تحضرا حيث اندمجوا تماما معهم ، واستوعبوا جميع مظاهر حضارتهم وأخذوا بها وزادوا عليها فأصبحت لهم منتجاتهم وعلومهم وتآليفهم المتخصصة قبل مرور قرنين من ظهور الإسلام .

وفى الوقت نفسه لا ينكر دور الشعوب غير العربية التى دخلت الإسلام فى بناء حضارته كالفرس والروم والقبط والترك ، فقد جمع الإسلام بينهم جميعا وبين العرب فى مجتمع واحد متجانس ومتكاتف وحرص الجميع على الأخذ بأسباب التحضر فى شتى المجالات العلمية والأدبية والفنية والمعمارية والإدارية والحربية والاقتصادية ، ولهذا تأثرت الحضارة الإسلامية فى عهدها الأول بحضارات السابقين ، وهذا لا يعيبها فى شئ فتنك سنة التابع الحضارى ، ثم ما لبث عالم الإسلام أن صاغ حضارة واضحة المعالم ذات خصائص عربية إسلامية متميزة .

# **الفصل الأول**

## **النظم الإسلامية**

حققت الحضار الإسلامية تقدماً كبيراً في مجال النظم ، وهذا ليس بغريب على دولة اتسعت أرجاؤها فاجتاحت لعدد من النظم لضبط أحوالها وإحكام قبضتها في مجالات المال والإدارة والدواوين والقضاء والجيش والأسطوال وغيرها ، وقد ابتكر المسلمون بعض هذه النظم ، وأخذوا البعض الآخر من النظم التي قابلتهم في البلدان التي فتحوها ، فطبقوا نظمها طالما لا تتعارض مع عقيدتهم الدينية وسياسة دولتهم ، ونتعرف فيما يلي بإيجاز على أهم هذه النظم .

## (أ) نظم الحكم

### (١) الخلافة :

اتفق جمهور الفقهاء واللغويين على أن الخلافة عرفت بهذا الاسم نسبة إلى أن شاغلها كان خليفة للنبي عليه الصلاة والسلام ، مع ضرورة إجماع الأمة على اختياره .

وتبين لنا كتب النظم الشروط الواجب توافرها فيمن يختار خليفة ، وأهمها العلم ، والعدالة ، والكفاية ، وسلامة الحواس والأعضاء ، ويضيف بعض الفقهاء إلى ذلك أن يكون الخليفة قرشياً ، وإن لم يجمع الفقهاء على ذلك وتعددت واجبات الخليفة ، وأهمها حفظ الدين ، وإقامة حدود الله وتعيين الولاة ، وحماية الدولة وتحصين ثغورها ، والجهاد ضد أعداء الإسلام ، والإشراف على شئون الدولة ومباشرتها ، والفصل بين المتخاصمين ، وجباية الأموال المقررة ، والصدقات ومباشرة صرفها ، وتقدير العطايا والإشراف على بيت مال المسلمين .

وكان للخلافة علامات وشارات وراتبها ، وألقابها الخاصة بشاغلها ، وعلامات الخلافة ثلاث هي البردة والخاتم والقضيب ، أما شاراتها فهي الدعاء للخليفة على المنابر في خطب الجمعة والعيد ، ونقش اسمه على السكة (العمنة) وعلى الطراز حيث كان يكتب على المنسوجات وغيرها من المنتجات اسم الخليفة وألقابه الدعاء له ، وما أن الصبح وأريد له ، كما كانت للخليفة رواتب اعترضه من

موظفى الدولة الاسلامية ، فضلا عما كان للخلفاء من إقطاعات ، كما أفاض مؤرخو الحضارة الاسلامية ، ومؤلفو كتب النظم فى ذكر المراسم الخاصة بالخلافة ، كتتظيم الدخول على الخليفة والجلوس فى حضرته ، وخروجه فى المواسم المختلفة ، ونظم المواكب والاحتفالات التى يحضرها ، وأصول الكتابة عن الخلفاء وإليهم ، وصيغ المكاتبات وأنواعها ، وترتيب ألقاب الخلفاء .

ومن المعروف أن أبا بكر الصديق كان أول من تلقب بلقب الخليفة ، وتبعه فى هذا الخلفاء الراشدون الثلاثة عمر وعثمان وعلى والخلفاء الأمويون والعباسيون والفاطيون ، وبينما اتبع نظام الشورى فى اختيار الخلفاء الراشدين خرج نظام الخلافة فى العهود التالية عن مبدأ الشورى ، وأصبحت الخلافة وراثية بين أبناء الخلفاء بدءا من معاوية بن أبى سفيان الذى أخذ البيعة لابنه يزيد فى حياته بالقوة سنة ٥٨هـ (٦٧٨م) وهو الأمر الذى اعتبره فقهاء النظم والمؤرخون خرقا لنظام الشورى الإسلامى .

وقد اتسمت الخلافة فى العصر الأموى بالطابع السياسى مما جعلها تتحول إلى نظام قريب من الملكية حيث كانت تحوطها الأبهة والمراسم العديدة مما يذكر فى نظر بعض المستشرقين ببعض نظم الحكم عند القياصرة والأكاسرة قبل الإسلام ، كما لوحظ على بعض الخلفاء العباسيين التشبه بالأكاسرة والتأثر بنظم الحكم عندهم ، بل إنهم تأثروا بنظرية الحق الملكى المقدس للحاكم عندهم ، وذلك بسبب زيادة النفوذ الفارسى فى العصر العباسى الأول ، وعندما زاد نفوذ الترك فى الدولة العباسية ، وتولوا الوظائف الهامة للدولة ضعفت الخلافة كنظام حتى سقطت الخلافة العباسية على أيدى المغول فى بغداد سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م ، وعندما أعاد سلاطين المماليك الخلافة العباسية وأقاموها بمصر بعد سنتين من سقوطها ظلت الخلافة اسمية طوال العصر المملوكى حتى انتقلت بصورتها الاسمية الى الامتانة على أيدى السلاطين الأتراك العثمانيين ، وظلت على هذه الصورة حتى ألغاهما تماما مصطفى كامل أتاتورك سنة ١٣٤٣ هـ / ١٩٢٤م ليُسدل الستار نهائيا على نظام الخلافة الإسلامى .



وقد نالت الخلافة اهتمام كثير من المؤرخين القدامى والمحدثين والفقهاء فأفردوا لها الصفحات والمؤلفات التى تشرحها وبين شروطها وعلاماتها وتسرد تاريخها ومالها وما عليها .

## (٢) الوزارة

يعتبر نظام الوزارة من أهم النظم الاسلامية ، ولم يكن معروفا بهذا الاسم فى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام أو فى عهد الخلفاء الراشدين ، أما فى العصر الأموى فكان لقب الوزير يطلق على من يعاون الخليفة فى أعباء الحكم فتلقب به مثلاً زياد بن أبيه فى عهد معاوية بن أبى سفيان ، وفى العصر العباسى تبلورت وظيفة الوزير وأصبحت أهم وظيفة فى الدولة بعد الخلافة ، ويقول ابن طباطبا فى هذا الشأن " لم تتم قواعد الوزارة وتقرر قوانينها الا فى دولة بنى العباسى ، أما قبل ذلك فلم تكن مقننة القواعد ولا مقرررة القوانين .

وقد أجمع فقهاء النظم وعلماءها على اعتبار وظيفة الوزير واسطة بين الخليفة رأس الدولة وبين الرعية .

وقد زاد نفوذ بعض الوزراء إلى درجة طغت على نفوذ بعض الخلفاء العباسيين ، كما هو الحال مع الوزراء من أسرة البرامكة فى عهد الخليفة هارون الرشيد .

**وبلغ من اهتمام الفقهاء بنظام الوزارة أنهم صنفوها إلى نوعين :**

**وزارة تفويض ، ووزارة تنفيذ ،** وتعد الأولى أعلى مرتبة من الثانية ، فقد كان الوزير المفوض ينظر فى جميع أمور الدولة ويتصرف فيها دون الرجوع إلى الخليفة ، أما وزير التنفيذ فكان يؤدى ما يؤمر به فقط ، وكانت شروط تعيينه أقل وأضعف من شروط تعيين وزير التفويض ، وكان من الجائز تعيين وزيرين للتنفيذ ولكن لا يجوز تعيين أكثر من وزير واحد للتفويض وخصصت للوزير رواتب واقطاعات فضلاً عن الهدايا والمنح التى تعطى له فى المناسبات المختلفة ، وقد شهد العصر العباسى الثانى عدة تطورات فى نظام الوزارة نتيجة ازدياد نفوذ الترك وضعف سلطان الخلفاء ، إذ أصبحت الوزارة مطمعا فزاد التنافس على توليها حتى

أن بعض الطامعين فيها كانوا يدفعون الرشاوى ويقدمون الهدايا للوصول إلى منصب الوزارة ، أو البقاء فيه أطول وقت ممكن ، كما بلغ من ازدياد نفوذ الوزراء أن بعضهم ورث المنصب لابنه من بعده ، كما فرض بعض الوزراء نقش أسمائهم على السكة والطرز إلى جانب اسم الخليفة القائم فى الحكم ، بل وخطب بأسماء بعض الوزراء على المنابر فى عهدى بنى بويه والسلاجقة ، كما اتخذ بعض الوزراء ألقابا فخرية وتشريفية كبيرة كان الخلفاء أنفسهم يخاطبونهم بها .

وكما اهتم انفقاء بنظام الخلافة اهتموا بنظام الوزارة وشروطها وتقاليدها وتاريخها ، ووصلتنا عدة مؤلفات خصصها أصحابها لشرح نظام الوزارة والحديث عن الوزراء فى العصر الاسلامى .

### ( ٣ ) الإمارة :

شاع تلقب ولاية الأقاليم وعمالها فى العصر الاسلامى بلقب أمير سواء كان الوالى تابعا للخلافة تبعية فعلية أو اسمية ، أو كان مستقلا تمام الاستقلال عن الخلافة ولا يدين لها بالولاء والطاعة .

وكان ولاية الأقاليم - أو أمراؤها - يقيمون فى دار بجوار المسجد الجامع بالولاية يعرف بدار الإمارة كما كان الأمير ينقش اسمه على السكة وعلى الطراز مع اسم الخليفة القائم فى الحكم .

وقد صنف فقهاء النظم الاسلامية الإمارة إلى نوعين : إمارة عامة ، وإمارة خاصة . وقسموا الإمارة العامة إلى إمارة استكفاء بعقد عن اختيار من الخليفة ، أى برضى الخليفة واختياره ، وإمارة استيلاء بعقد ولكن عن اضطرار من الخليفة أى قبول الخليفة للأمر الواقع ، وفى هذه الحالة يكون الأمير مستبدا بالسلطة فى الولاية على غير رغبة .

وقد أجمل الماوردى الأعباء التى يجب على الأمير القيام بها فى النظر فى تدبير الجيوش وترتيبها ، والنظر فى الأحكام ، وجباية الخراج وجمع الصدقات ، وتعيين العمال فى ولايته فضلا عن حماية الدين والدولة والنساء - وإقامة حدود

انشرع ، وإمامة المصلين ، وجهاد العدو المجاور إذا كان الأمير يتولى ثغرا من الثغور ، أو تتأخم ولايته أرض العدو .  
أما الإمارة الخاصة فيقتصر عمل شاغليها على تدبير الجيش وشؤون الرعية وحماية المجتمع والنساء وليس من عمله النظر في القضاء ولا جباية الخراج أو الصدقات .

ويمكن القول أن نظام الإمارة على البلدان يعود إلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام عندما كان ينبغي عنه عمالا على القبائل والمدن ، ولكن بالتوسع الدولة الإسلامية أصبح الخلفاء يعينون عددا أكبر من الولاة أو الأمراء يتولى كل منهم إمرة بلد كامل كطبرستان وخراسان ومصر ، بل إن بعض البلدان كان يقسم إلى إمارتين كالعراق والشام ، أما بلاد فارس فكانت تقسم إلى ثلاث إمارات لاستدامها وكان يعين إلى جانب أمراء البلدان أمراء أو عمال للخراج والقضاء مما أدى إلى قيام بعض المنازعات بين الأمراء .

وسارت الدولة الإسلامية على تعيين الأمراء من العنصر العربي حتى سقوط الدولة الأموية ، وتميزت هذه الفترة بطول المدة التي يقضيها الأمير في إمارته ، أما في العصر العباسي فقد تغيرت أوضاع إمرة البلدان نظرا لغلبة الحكم المركزي العباسي مما جعل وظيفة الأمير ثانوية ، وليس لشاغلها سلطان كبير فضلا عن قصر المدة التي يقضيها بها ، ومشاركة عدد كبير من الموظفين الكبار للأمير في تسيير أمور الإمارة كصاحب المال وصاحب البريد ، وكانت الدولة الإسلامية في العصر العباسي تنقسم إلى عدد كبير من الإمارات .

وقد تجرأ بعض الأمراء وأعلن استقلاله بإمارته مع الاحتفاظ بسياسة الولاء والطاعة للخلافة ، وكان من نتائج هذا ظهور الإمارات أو الدويلات المستقلة كالدولة الطاهرية والدولة الصفارية ، والدولة السامانية شرقا بإيران وخراسان ، والدولتين الطولونية ، والإخشيدية غربا في مصر .

## (ب) النظم الإدارية والمالية :-

### (١) الدواوين

اختلف العلماء فى تفسير لفظه ديوان ، فقليل أنها لفظة عربية من دون الأمر أى أثبتته ، ويقال أنها فارسية حيث كانت تطلق على الكتبة وغيرهم ، ثم عمت اللفظة لتدل على مكان عملهم أيضا ، وفى العصر الإسلامى كانت الإدارة موزعة على عدد من الدواوين سواء فى عاصمة الدولة الإسلامية أو فى ولاياتها . ويعود إلى عهد النبى عليه الصلاة والسلام تأسيس أول نظام إدارى فى الإسلام حيث كان عليه الصلاة والسلام يستعين بمجلس للشورى فى إدارة شئون الدولة الناشئة كما كان للنبى كتاب يكتبون رسائله إلى الملوك والحكام فى البلدان المجاورة .

وفى عهد عمر بن الخطاب حدث تطور ملحوظ فى النظام الإدارى لاتساع أرجاء الدولة الإسلامية واحتكاك المسلمين بكثير من النظم الإدارية فى البلدان التى دخلوها فأنشئت دواوين عديدة لضبط أمور الدولة كديوان العطاء وديوان الجند وديوان الخراج بالإضافة إلى بيت المال الذى يعود ظهوره إلى عهد عمر بن الخطاب أيضا .

وزاد اهتمام الخلفاء الأمويين بالنظم الإدارية ، فزادت الدواوين ، حيث أنشأ معاوية بن أبى سفيان ديوان البريد ، وديوان الصدقات ، وديوان الطراز ، وديوان الخاتم لحفظ سرية الكتب الصادرة من الخلافة أو الواردة إليها ، وفى عهد الخليفة عبد الملك بن مروان حدث أهم تطور فى نظام الدواوين الإسلامية ، عندما قرر تعريب الدواوين فأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية المستخدمة فيها بعدما كانت تستخدم اللغات القديمة للأقاليم المفتوحة كالقبطية فى دواوين مصر ، والرومية فى دواوين الشام ، والفارسية فى دواوين العراق وقد أدى تعريب الدواوين من جهة أخرى إلى زيادة انتشار اللغة العربية .

أما فى العصر العباسى فقد حققت النظم الإدارية تقدما كبيرا ، لإنشاء عدد كبير من الدواوين كبيت مال المظالم فى عهد الخليفة المتصور ، وديوان الأزمة فى

عهد الخليفة المهدي ، وديوان التوقيع ، وديوان الأوقاف ، وديوان البر والصدقات، وديوان الأكره للإشراف على الترع والجسور وأمور الري وغيرها .  
وكانت الدواوين تقوم في أول عهد الإسلام بالمسجد الجامع ، ثم نقلت إلى دار الإمارة أو إلى دار الوزارة ، ثم إلى مقر الخليفة العباسي أو إلى دار الملك في العصر الفاطمي بمصر .

وكان يعين للدواوين رؤساء اتخذ كل منهم لقب صاحب الديوان ، وكانت درجاتهم ورواتبهم تختلف بحسب أهمية ديوان كل منهم أو بحسب نفوذ صاحب الديوان ، وكان يعاون صاحب الديوان عدد من الكتاب والخزان والبوابين والمساعدين ، وكان لكل منهم راتبه ولقبه مما أدى إلى زيادة عدد الألقاب المستخدمة في الديوان الواحد ، وقد وصلتنا أسماء العديد من الدواوين التي تفوق المائة ، ونورد فيما يلي حصرا بأهمها مرتبة حسب الحروف الأبجدية ونقلنا عن كتاب دراسات في الحضارة الإسلامية للدكتور حسن الباشا .

- |   |                              |
|---|------------------------------|
| (١) ديوان الأحباس (أى الأوقاف) .        | (٢) ديوان الأحداث والشرطة .  |
| (٣) ديوان الاحتشام .                    | (٤) ديوان الأزمة .           |
| (٥) ديوان الاستدارية .                  | (٦) ديوان الاستيفاء .        |
| (٧) ديوان استيفاء الخاص .               | (٨) ديوان الأسطول .          |
| (٩) ديوان أسفل الأرض .                  | (١٠) ديوان الأشراف .         |
| (١١) ديوان الأعمال والجبايات .          | (١٢) ديوان الاقطاع .         |
| (١٣) ديوان الأموال .                    | (١٤) ديوان الانتشاء .        |
| (١٥) ديوان الأهراء .                    | (١٦) ديوان البر والصدقات .   |
| (١٧) ديوان البريد .                     | (١٨) ديوان البيمارستان .     |
| (١٩) ديوان التحقيق .                    | (٢٠) ديوان الترسل .          |
| (٢١) ديوان التوقيع .                    | (٢٢) ديوان الثغور .          |
| (٢٣) ديوان الجند .                      | (٢٤) ديوان الجند والشاكرية . |
| (٢٥) ديوان الجوالى والموا. بث الحشرية . | (٢٦) ديوان الجهيذة .         |
| (٢٧) ديوان الجيش أو ديوان الجيوش .      | (٢٨) ديوان حاكم بغداد .      |

- (٢٩) ديوان الحجوبية الكبرى .
- (٣١) ديوان الخاتم .
- (٣٣) ديوان الخاص .
- (٣٥) ديوان الخراج .
- (٣٧) ديوان الخرائط .
- (٣٩) ديوان خزانة السلاح .
- (٤١) ديوان الخلافة .
- (٤٣) ديوان الخواص .
- (٤٥) ديوان الدية .
- (٤٧) ديوان الزكاة .
- (٤٩) ديوان الزمام .
- (٥١) ديوان زمام النفقات .
- (٥٣) ديوان السلطان .
- (٥٥) ديوان الشد .
- (٥٧) ديوان الصلبة .
- (٥٩) ديوان ديوان الصعيد .
- (٦١) ديوان صندوق المستخرج .
- (٦٣) ديوان الضياع .
- (٦٥) ديوان الطغرا .
- (٦٧) ديوان العرض .
- (٦٩) ديوان العساكر .
- (٧١) ديوان الغلمان .
- (٧٣) ديوان قاضى القضاة .
- (٧٥) الديوان الكبير .
- (٧٧) ديوان الكشف .
- (٧٩) ديوان المجلس .
- (٣٠) ديوان الحشر .
- (٣٢) ديوان الحكم .
- (٣٤) ديوان الخاصة .
- (٣٦) ديوان الخراجى .
- (٣٨) ديوان الخزائن .
- (٤٠) ديوان خزائن الكسوة .
- (٤٢) ديوان الخمس .
- (٤٤) ديوان الدار .
- (٤٦) ديوان الرسائل .
- (٤٨) ديوان الرواتب .
- (٥٠) ديوان زمام الأزيمة .
- (٥٢) ديوان السر .
- (٥٤) ديوان السواد .
- (٥٦) ديوان الشرطة .
- (٥٨) ديوان الديوان الشريف .
- (٦٠) ديوان الصدقات .
- (٦٢) ديوان الصناعة .
- (٦٤) ديوان الصوافى .
- (٦٦) ديوان الطراز .
- (٦٨) ديوان العطاء .
- (٧٠) الديوان العزيز .
- (٧٢) ديوان العمائر .
- (٧٤) ديوان الغض .
- (٧٦) ديوان الكراع .
- (٧٨) ديوان القضاء .
- (٨٠) ديوان المال .

- |                              |                               |
|------------------------------|-------------------------------|
| (٨١) ديوان المرتجع .         | (٨٢) ديوان المراسلات .        |
| (٨٣) ديوان المشرق .          | (٨٤) ديوان المستقلات .        |
| (٨٥) ديوان المظالم .         | (٨٦) ديوان المصادرة .         |
| (٨٧) ديوان المفرد .          | (٨٨) ديوان المغرب .           |
| (٨٩) ديوان المقاضاة .        | (٩٠) ديوان المقابلة .         |
| (٩١) ديوان المنح .           | (٩٢) ديوان المكاتبات .        |
| (٩٣) ديوان المواقف الشريفة . | (٩٤) ديوان الموارد الحشوية .  |
| (٩٥) الديوان النبوي .        | (٩٦) ديوان الموالي .          |
| (٩٧) ديوان النظر .           | (٩٨) ديوان النظر في المظالم . |
| (٩٩) ديوان النفقات .         | (١٠٠) ديوان النيابة .         |
| (١٠١) الوزارة .              | (١٠٢) ديوان الهلال .          |

## (٢) الكتابة :

عرفت الكتابة كنظام مساعد للحاكم منذ عهد الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد كان يتخذ بعض الصحابة كتابا يدونون القرآن ويكتبون الرسائل والعهود والمعاهدات المختلفة ، وسار على نهجه الخلفاء الراشدون من بعده ، فقد تم تعيين كاتب بكل ولاية في عهد الخليفة عمر بن الخطاب كانت مهمته تتحصر في تحرير الرسائل وتدوين الأوامر ، ثم زادت أعماله بعد تدوين الدواوين فانتسعت لتشمل ضبط حسابات الديوان وتسجيل أسماء الجند وأعطياتهم .

وكان هناك ثلاثة أنواع من الكتاب في أوائل العهد الإسلامي هي : كتابة الرسائل ، وكتابة ديوان الجيش أو الجند ، وكتابة المال والجبايات ، وزادت إلى خمسة أنواع في عهد الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان هي الرسائل ، والخراج ، والجند ، والشرطة ، وكاتب القاضي ، وكان كاتب الرسائل يفوقهم مكانة وأهمية ، لذا حرص الخلفاء على تعيين أقاربهم وخاصتهم في هذه الوظيفة .

وقد تبوأ ديوان الرسائل مكانة رفيعة فى عهد العباسيين وكانت سلطة صاحبه لا تقل عن سلطة الوزير ، بل كان يطلق عليه أحيانا لقب " وزير " وكان كاتب الرسائل يجلس مع الخليفة فى مجلس القضاء وينوب عنه فى بعض الأحيان ، وعندملا استقرت وظيفة الوزير وزادت أهمية شغلها صار الكاتب مجرد موظف فى الدواوين ، وإن ظل كتاب الرسائل دون غيرهم يتمتعون بمكانة رفيعة لصلتهم الوثيقة بأولى الأمر من خلفاء ووزراء وأمرء حتى أن بعض كتاب الرسائل كان يستشار فى أمر تولية بعض الخلفاء .

ولم يكن نظام الكتابة قاصرا على حاضرة الخلافة وإنما عرف أيضا فى الولايات الإسلامية المختلفة ، وعلى سبيل المثال عرفت مصر فى العهدين الطولونى والأخشيدى كتاب الخراج والمال ، وكتاب الرسائل .

وفى العصر الفاطمى كانت الكتابة تلى الوزارة فى المرتبة وكان جوهر الصقلى كاتباً للخليفة المعز لدين الله ، وفى أواخر العصر الفاطمى ضعف شأن الكتاب لاستفحال نفوذ الوزراء .

أما العصر الأيوبرى فقد شهد نبوغ عدد من الكتاب كان القاضى الفاضل أشهرهم حيث تولى الوزارة أيضا فى عهد صلاح الدين وولديه من بعده ، ووصلتنا من إنشائه عدة رسائل تاريخية وأدبية على جانب كبير من الأهمية (وقد توفى القاضى الفاضل سنة ٥٩٦ هـ) .

وفى عصر المماليك اشتهر من كتابه فخر الدين بن لقمان فى عصر الظاهر بيبرس ، وشهاب الدين ابن فضل الله العمرى فى عهد الناصر محمد بن قلاوون ، وهو صاحب كتابى " مسالك الأبصار " والتعريف بالمصطلح الشريف " وأبو العباس القلقشندى صاحب موسوعة " صبح الأعشى فى صناعة الإنشا " .



### (٣) الحجابة :

يعود نظام الحجابة إلى ما قبل الإسلام حيث كانت تعنى حراسة الكعبة وحفظ مفتاحها ، أما فى الإسلام فأصبحت الحجابة تعنى حجب الحاكم عن الناس بقيام الحاجب بتنظيم دخول الناس عليه وجلسهم فى حضرته .

ويعود ظهور الحجابة بهذا المعنى إلى عهد معاوية بن أبى سفيان الذى اتخذ له حجابا ينظمون الدخول عليه خوفا من الاعتداء عليه ، ولهذا كان الحاجب من أكبر موظفى البلاط والدولة فى العهد الأموى .

وتطور نظام الحجابة فى العصر العباسى فأصبحت له قوانين ورسوم تحدد مهام الحاجب وسلطاته ، وصار يشغل وظيفة الحاجب كبار العسكريين ، وبلغ نفوذ الحاجب إلى درجة استشارته فى كثير من أمور الدولة ، واستبداده بالأمر دون الوزير ، ومن أشهر الحجاب فى عهد العباسيين الفضل بن الربيع الذى كان حاجبا لهارون الرشيد ، ولعب دورا كبيرا فى الإيقاع بينه وبين البرامكة ، ثم لعب دوره الشهير فى النزاع بين الأمين والمأمون ابنى الرشيد

كما نجح بعض الحجاب فى تأسيس أسر حاكمة كالحاجب آقسنقر والد عماد الدين زنكى الذى أسس حكم الأسرة الزنكية فى الموصل أولا ، ثم اتسعت لتشمل بعض أقاليم بالعراق والشام .

وقد بلغ من أهمية الحجابة فى العصر العباسى أن خصصت لها عدة صفحات فى كتب النظم الإسلامية ودساتيرها ، كما فى كتاب " رسوم دار الخلافة " لمؤلفه هلال الصابى .

ولم يتمتع الحاجب فى عهد الخلافة الفاطمية بمصر بما كان لنظيره فى بلاط الخلافة العباسية من قوة ونفوذ ، وكان يلقب بصاحب الباب ، وعرفت الحجابة أيضا فى غرب العالم الإسلامى عند الأمويين بالأندلس ، وبلغ الحاجب درجة كبيرة من النفوذ حتى أن الخلفاء كانوا يحافظون على التلقب بلقب الحاجب

بعد وصولهم إلى كرسى الخلافة ، وعندما زاد نفوذ الحجاب صار الواحد منهم بلقب  
بذى الوزارتين إشارة إلى اشرافه على الشئون المدنية والعسكرية .

#### (٤) الحسبة :

تعد الحسبة أحد النظم الاسلامية الأساسية والأصيلة حيث تقوم على أساس  
إسلامى واضح هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ويراهما بعض الفقهاء  
كواسطة بين أحكام القضاء وأحكام المظالم .

وقد اهتم بدراساتها والتعريف بها كثير من الفقهاء والمؤرخين ، بل إن  
بعضهم أفرد لها مؤلفات كاملة كعبد الرحمن بن نصر الشيزرى (متوفى ٥٨٩هـ /  
١١٩٣م) صاحب الكتاب الشهير " نهاية الرتبة فى طلب الحسبة " وابن الأخوة  
(متوفى سنة ٧٢٩هـ / ١٣٢٨م) مؤلف كتاب " معالم القرية فى أحكام الحسبة " .

وكان الخليفة عمر بن الخطاب أول من وضع نظام الحسبة حيث كان يقوم  
بعمل المحتسب بنفسه ، ويعاقب المخالفين .

وربما كان هناك تداخل أو تشابه بين الحسبة وكل من القضاء والنظر فى  
المظالم ، ولكن الفقهاء بينوا الفروق بينها ، فوظيفة القضاء فض المنازعات الدينية  
بين المتخاصمين ، أما الحسبة فتتظر فى كل ما يتعلق بالنظام العام ، والأمور التى  
تستوجب الفصل بسرعة ، أما النظر فى المظالم فيفضل فيما استعصى من الأحكام  
على كل من القاضى والمحتسب .

ووضع الفقهاء شروطا لتولى وظيفة الحسبة أهمها توافر الحرية والعدل  
والرأى السديد والصرامة والخشونة والعلم بالشريعة فيمن يتولاها واختلفوا فى شرط  
الاجتهاد فى الدين فمن قائل بوجوب أن يكون المحتسب من أهل الاجتهاد وإلى قائل  
بكفاية علم المحتسب بأحكام الشريعة فقط .

أما أعمال المحتسب وواجباته فمن الصعب حصرها لكثرتها إذ كان عليه  
مراعاة تطبيق أحكام الشرع ، ومعاقبة المخالفين لها ، والمحافظة على الآداب

العامة ، والإشراف على أعمال النظافة بالشوارع والأسواق ، ومتابعة البيع والشراء والأسعار بالأسواق ، والكشف على الموازين ، والمكاييل وضبط معاييرها جميعا بدار العيار ، وكشف محاولات الغش ، ومراقبة الصناعات فى محالهم ، والتأكد من توافر المواد اللازمة لصناعاتهم وعدم غشها ، كما كان المحتسب يراقب معاملة الإنسان للحيوان ، ومنع الاعتداء عليه ، والإشراف على الحمامات وسلامتها ومدى مراعاة الآداب وتوافر القواعد الصحية وأصلها ، كما كان عليه الإشراف على المعلمين فى الكتاتيب ومنعهم من ضرب الصبية ، ومراقبة الصيارف فى معاملاتهم، وكان عليه إبلاغ ولى الأمر بما يحفظ للدولة كيانها وبما يهدد هذا الكيان من أخطار حتى يمكن تدارك الأمر .

وهكذا اتسعت أعمال المحتسب لتشمل عددا من الجوانب الدينية والاقتصادية والاجتماعية والتعليمية والحرفية فى المجتمع الاسلامى ، أى أنه كان يقوم بأعمال تؤديها عدة وزارات فى العصر الحديث ، ولهذا كان المحتسب يستعين ببعض الأعوان الذين يكونون تحت رئاسته مجلس الحسبة ومن أهمهم العرفاء من أهل الصناعات والحرف المختلفة التى لا يجيدها المحتسب حيث يستشير بخبرتهم بما يعود على الصانع والصنعة نفسها بالخير ، وكان المحتسب يحتفظ بسجل يدون فيه أسماء الحرفيين والباعة وموقع كل منهم مما يسهل عليه مراقبتهم ، وكان له خاتم خاص يستعمله فى مباشرة أعماله ، وكان للحسبة دار يقيم بها المحتسب ويمارس عمله ، ويعقد بها تحت رئاسته مجلس الحسبة .

وقد تطور نظام الحسبة على طول التاريخ الاسلامى ووضعت له القواعد فتحددت معالمه بوضوح فى العصر العباسى ، وعرف وطبق فى شرق العالم الإسلامى وفى غربه على السواء ، وليس أدل على أهمية الحسبة من أن ملوك الأسبان المسيحيين كانوا كلما أخذوا إقليما من أقاليم المسلمين فى الأندلس أبقوا على المحتسب فى عمله ، وكانوا يطلقون عليه لقطة قريبة من اللغة العربية هى ALMOTACEN بمعنى الوالى الذى يعهد إليه الإشراف على الأسواق والموازين

والمكايل ، بل أن وظيفة المحتسب لا تزال قائمة حتى اليوم فى بعض بلدان المغرب العربى .

#### (٥) الشرطة :

كانت الشرطة فى أول أمرها تابعة للقضاء لارتباطها بتنفيذ ما يصدره القضاء من أحكام ، ولكنها فصلت عن القضاء وأصبح لكل منها وظيفته الخاصة . وعرف القائم على أمرها بعدة ألقاب كصاحب الشرطة ، ورئيس الشرطة ، وعامل الشرطة ، ومتولى الشرطة ، والى الشرطة وغيرها . وكان تعيين رئيس الشرطة من اختصاص والى أو الأمير ، وبالتالي كان يعزل عندما يعزل والى نفسه ، وكان لرئيس الشرطة إمامه المسلمين فى الصلاة عند غياب والى ، وفى بعض الأحيان كان يولى الإمارة . ويشترط فقهاء المسلمين فيمن يتولى رئاسة الشرطة أن يكون حليما مهابا ، وان يكون صمته أكثر من كلامه وغير متسرع فى أحكامه عميقا فى تفكيره ، لا يلتفت إلى الشفاعات حتى يستقيم عمله .

والمعروف أن العمل الأساسى للشرطة هو حفظ النظام والأمن وتنفيذ أوامر الحاكم والقاضى ، ومساعدة الولاة وعمال الخراج والمحتسب فى أداء أعمالهم وتنفيذ أوامرهم والإشراف على السجون ومراقبة أسوار المدن وأبوابها وقد ظهرت وظيفة صاحب الشرطة لأول مرة فى عهد الخليفة على بن أبى طالب الذى يعود إليه - كرم الله وجهه - فضل ترتيب نظام الشرطة .

وقد شهد العهد الأموى وضوح مهمة الشرطة ، وزادت تنظيماتها فى العصر العباسى ، إذ صار بكل مدينة شرطة خاصة بها ، وأصبح للشرطة زى خاص وأسلحة وأعلام وفوانيس خاصة يحملها رجالها فضلا عن استعانتهم أحيانا بكلاب الحراسة ، وكان لصاحب الشرطة أعوان ومساعدون .

وعرفت الشرطة فى سائر بلدان الاسلام ، وتفرعت نظمها ، وعلى سبيل المثال عرفت مصر الاسلامية بعد تأسيس عاصمتها الثانية العسكر نظام الشرطتين: شرطة عليا مقرها العسكر وشرطة سفلى مقرها القسطاط ، وظل نظام الشرطتين قائما بمصر حتى العصر الفاطمى ، وكان للشرطة دار تعرف باسمها أما فى العصر المملوكى فقد ألغيت هذه الوظيفة وأسندت مهامها إلى الوالى ولهذا يطلق بعض المؤلفين على الوالى لقب والى الشرطة لتوليه مهامها .

## (٦) البريد

لعب نظام البريد دورا رئيسيا فى ربط دولة الاسلام بعضها ببعض وفى نقل أخبار الولايات إلى الخلفاء ونقل توجيهات الخلفاء وأوامرهم إلى عمالهم عليها ، وكان اختيار صاحب البريد يخضع لبحث دقيق من جانب الحكام فكانوا يختارون ثقات الناس وأعرفهم بالطرق والمسالك لاعتماد الحاكم عليهم عند تسيير الجيوش بما يقدمه عمال البريد من معلومات عن الطرق تضمن سلامة الجند ولهذا كان صاحب البريد يعد من كبار موظفى الدولة الاسلامية على مر العصور بل إنه كان يدخل للخليفة دون تأخير حتى لا يتأخر ما يحمله من أخبار .

ويقول القلقشندى إن معاوية بن أبى سفيان كان أول من أدخل نظام البريد فى الاسلام إذ أخذه عن الروم بالشام ، وظل البريد يتطور كنظام ضرورى للدولة الإسلامية فأنشأ له ديوان كبير فى العصر العباسى ، كما زودت طرق البريد بمحطات واستراحات على طول الطريق بين عاصمة الدولة وأقاليمها المترامية فى ذلك العصر ، وكان عمال البريد فى العصر العباسى بمثابة عيون للخلافة فى الولايات المختلفة ، فكانوا ينقلون إلى الخلفاء أخبار الولاة وأحوالهم فى ولايتهم ، وكذا أخبار أحكام القضاة ، وأخبار الأسواق والأسعار ، ومدى توفر حاجات الناس ، وعلى سبيل المثال بلغ من انتظام البريد فى عهد الدولة العباسية أن الخليفة المنصور كان يلتقى بعمال البريد مرتين فى اليوم الواحد احدهما بعد صلاة الصبح لموافاته بما جرى بالليل من أمور ، والأخرى بعد صلاة المغرب لاحاطته علما بما جرى

من أحوال بالنهار ، كما اتفق بعض الخلفاء سرا مع صاحب البريد على علامة معينة بحيث لا يعتمد أحدهما على كتاب الآخر إليه إلا إذا كان حاملا للعلامة المتفق عليها .

ويرجع إلى البويهيين فضل استعمال السعاة فى نقل البريد من مكان إلى آخر وبلغ من اهتمامهم بأمر البريد ورجاله أنهم استغلوا البريد استغلالا سلبيا لتحقيق خططهم عندما تحركوا نحو بغداد لدخولها فقطعوا طرق البريد عن الخلافة العباسية ليخفوا عنها أخبارهم .

وفى مصر الإسلامية اهتم حكامها بالبريد فى العصور المختلفة حتى أن البريد شهد رقيا وتطورا كبيرين فى عهد المماليك ، وكان يشرف على البريد صاحب ديوان البريد ، وكان يحفظ بالديوان ألواح البريد وكانت تصنع من فضة وينقش على أحد وجهيها عبارة التوحيد وبعض الآيات القرآنية ، وعلى الوجه الآخر اسم السلطان المملوكى القائم فى الحكم وألقابه والدعاء له ، وكان البريدى يعلق اللوحة فى عنقه فى ذهابه وإيابه تمييزا له وتوثيقا لمهمته الرسمية .

وقد تعددت طرق نقل البريد فى العصر الإسلامى ، حيث كانت هناك طرق برية وأخرى جوية .

أما البرية فوسيلتها موظفو البريد وسعاته وكانوا يسلكون عدة طرق تضم محطات عرفت بالسكك ، وكانت تزود بالخيول وراكبيها ، وبلغت المسافة بين سكة وأخرى ثلاثة أميال أو ستة .

ومن أهم طرق البريد فى العصر العباسى :

(١) طريق بغداد - القيروان مارا بحذاء نهر دجلة حتى الموصل ونصيبين والرقّة وحلب وحماة وحمص ودمشق والرملة والقاهرة والإسكندرية حتى القيروان .

(٢) **طريق بغداد - الشام** مرورا بمحاذاة الضفة الغربية لنهر الفرات حتى الأتبار

ثم دمشق .

(٣) **طريق بغداد - الشرق** مارا بحلوان وهمذان والرى ونيسابور ومرو وبخارى

وسمرقند حتى حدود الصين ، وهناك طريق آخر يخرج من مرو مارا بوسط

خراسان ومخترقا نهر جيحون حتى يصل إلى فرغانة .

أما طرق البريد الجوية فنحنى بها البريد الذى كان ينقله الحمام الزاجل الذى اعتمدت عليه الدولة الاسلامية اعتمادا كبيرا ، وظل بريد الدولة العباسية ينقل بواسطته حتى خلافة المعتصم ، ومن جهة أخرى خصصت الخلافة الفاطمية للحمام الزاجل ديوانا وجرائد بأنساب الحمام كتلك التى كتبها العرب للتعريف بأنساب الخيل .

واستخدم سلاطين المماليك فى مصر حمام الزاجل فى نقل الرسائل ، وكانت قلعة الجبل تضم أبراجا ومراكز معينة ينزل بها الحمام فيقوم البراج بنقل ما على جناح الحمام إلى طائر آخر ليوصله إلى المكان التالى وهكذا ، وكان حمام البريد السلطانى يميز بعلامات كبصم منقاره ببصمة معينة ، أو قص ريشة بطريقة مميزة خاصة ، فإذا وصل إلى قلعة الجبل بما يحمله من رسائل تولى السلطان المملوكى بنفسه فض الرسالة ومعرفة أخبارها .

وتميزت الرسائل التى ينقلها الحمام الزاجل باختصار مضمونها ، وخلوها من الافتتاحيات المطولة التى كانت تتضمنها الرسائل المرسلة بالطريق العادى ، وكانت الرسالة تشد تحت جناح الحمامة أو إلى ذيلها ، وجرت العادة أن تكتب الرسالة الواحدة من صورتين ترسلان مع حمامتين حتى إذا ضلت إحداها الطريق أو هلكت وصلت الرسالة مع الأخرى .

وبالإضافة إلى الحمام الزاجل استخدمت النار كوسيلة من وسائل المراسلة فى بلدان الشمال الأفرقى ، حيث كانت الرسائل تصل من طنجة إلى سبتة فى ساعة واحدة ، ومن طرابلس إلى الاسكندرية فى ثلاث ساعات ، غير أنه بطل استخدام النار فى منتصف القرن الخامس الهجرى .

## (٧) النظام المالي

سارت الدولة الإسلامية منذ ظهورها على سياسة مالية تحقق التوازن بين مواردها ومصارفها ، فقد أنشأ عمر بن الخطاب أول بيت للمال في الإسلام كانت مهمته حفظ أموال المسلمين والصرف منها على ما ينفع جماعة المسلمين ، وكان يتولى شئونه " صاحب بيت المال " وتعددت موارد بيت المال ، ويمكن حصر أهمها في ستة موارد الخراج ، والجزية ، والزكاة ، والفيء ، والغنيمة ، والعشور .

**والخراج هو :** قيمة ما كان يفرض على الأرض من ضريبة ، وكان يؤخذ عن الأرض التي فتحها المسلمون بالقوة وتلك التي أفاء الله بها عليهم ، أي تملكوها بدون قتال ، وصالحوا أهلها عليها ، وتقدر قيمة الخراج من مال أو غلة ، وكان يراعى في تقديره كمية المحصول ومساحة الأرض المزروعة ، ومدى جودتها توخيا للدقة والعدل في التقدير .

واهتم خلفاء المسلمين بأمر الخراج على طول تاريخهم " فكانوا يشرفون بأنفسهم أحيانا على جبايته أو يكلفون الولاة بجبايته نيابة عنهم ، كما كانوا يعينون عمالا للخراج إلى جانب ولاة الأقاليم مهمتهم جباية الخراج فقط ، وكانوا يخضعون لحساب دقيق من الخلفاء أنفسهم .

**أما الجزية** فكانت عبارة عن مبلغ من المال يفرض على أهل الذمة كمقابل للزكاة المفروضة على المسلمين حتى يتساوى الفريقان في الواجبات ، كما يتساويان في الحقوق ، وكانت تحصل بأسلوب عادل ، فكان يؤخذ من الغنى ضعف ما يؤخذ من متوسطى الحال ، وأربعة أضعاف ما يؤخذ من الفقير ، بينما كان يعفى منها المساكين والعجزة عن العمل من المرضى والمكفوفين والمقعدين والمجانين وغيرهم ، كما أعفى منها الصبيان والنساء .

**وتمثل الزكاة** أحد أركان الإسلام الخمسة ، وكانت تفرض على النقد سواء كان من ذهب أو من فضة طالما بلغ قدرة " النصاب " كما كانت الزكاة تفرض



على الإبل والغنم ، وعلى التجارة وعلى المعادن ، والزروع والثمار ، وكان يخصص ديوان للزكاة بعاصمة الدولة .

**أما الفئ :** فهو ما كان يصل للمسلمين من أموال المشركين دون قتال ، وكان يؤخذ منه الخمس ليقسم إلى خمسة أسهم متساوية أحدها للرسول عليه الصلاة والسلام لينفق منه على نفسه وعلى أزواجه وعلى مصالح المسلمين ، وقد سقط هذا السهم بموت الرسول ، والثاني لذوى القربى ، والثالث لليتامى ، والرابع للمساكين ، والخامس لابن السبيل ، أما أربعة أخماس الفئ فكانت توزع بين الجند ، وينفق منها على ما تتطلبه الأعمال الحربية من شراء أسلحة وغيرها .

**أما الغنيمه :** فهي كل ما أصابه المسلمون من جيوش الكفار عن طريق الحرب ، وكانت الغنائم تقسم بعد انتهاء المعارك حتى لا تشغل المتحاربين عن مهمتهم الأساسية فى القتال ، ولم يكن يحق للأجراء والصناع والمصاحبين للجيش الحصول على جزء منها لانتفاء صفة الجهاد عنهم .

وآخر موارد بيت المال يتمثل فى **العشور** وهى ضريبة فرضت على التجار غير المسلمين الذين يقدون بسلعهم إلى البلدان الإسلامية وذلك فى مقابل ما كان يدفعه التجار المسلمون عند ذهابهم بسلعهم إلى البلدان الأجنبية التى ليس بينها وبين المسلمين أية عهود .

وقد زادت الأموال المحصلة فى العصر الأموى عما كان يجرى تحصيله فى عهد الخلفاء الراشدين وذلك لاتساع الدولة ، وحرص الخلفاء الأمويين على استصلاح الأراضى حتى يزيد انتاجها وبالتالي يزيد خراجها ، فضلا عن مبالغة بعض الخلفاء وعمالهم فى جباية الضرائب المختلفة ، واهتم الخلفاء العباسيون أيضا بجباية الأموال فى مواعيد محددة مما كان له أثره فى امتلاء خزائنها بالأموال حتى أصبحت لا تعد ، وإنما تحسب بالوزن .

### أما مصارف بيت المال فكانت متعددة أيضا ومن أهمها : -

- (١) أرزاق ( رواتب ) الجند والقضاة والولاة ، والعمال ، وصاحب بيت المال ، وغيرهم من عمال الدولة .
- (٢) العطايا والمنح للأدباء والعلماء .
- (٣) كرى الأتهار واصلاح مجاريها وحفر الترغ لزيادة المساحة المزروعة .
- (٤) النفقة على المسجونين والأسرى .
- (٥) شراء المعدات الحربية للجيش والأسطول .
- (٦) العطاء للناس .
- (٧) الإنفاق على العمران بإنشاء المدن و المساجد والمدارس وغيرها .

### ج - النظم القضائية

#### ١- القضاء :

يعتبر القضاء أحد الوظائف الخمس الأساسية في الولايات الإسلامية ، وهى الصلاة ، والولاية ، وجباية المال ، والشرطة ، والقضاء ، ولذا كان القضاء من الوظائف التابعة للخلافة ، بل أن خلفاء صدر الاسلام كانوا يباشرون القضاء بأنفسهم ، وربما أطلق لقب الحاكم عليهم لهذا السبب .

وقد أرسى الرسول عليه الصلاة والسلام أصول القضاء وتقاليد بقضائه بين المسلمين وفقا لما أنزله الله في كتابه العزيز ، وسار على هديه الخلفاء الراشدون من بعده ، كما حظى القضاء باهتمام الخلفاء الأمويين وأصبحت الأحكام تسجل في عهدهم حرصا على عدم التلاعب فيها ، وكان القضاء مستقلا بذاته بعيدا عن السياسة وله كلمته النافذة .

وكان لنشأة المذاهب الدينية الأربعة أثرها في تطور نظام القضاء في العصر العباسي ، حيث كان القاضى يصدر أحكامه وفق المذهب السائد في الإقليم ، فكان قاضى العراق يحكم تبعا للمذهب الحنفى ، فى حين كان القضاة فى الشام والمغرب

يحكمون وفقا للمذهب المالكي ، وفي مصر كانت الأحكام تصدر على المذهب الشافعي وهكذا .

وحدد الفقهاء الشروط الواجب توافرها فيمن يتولى قضاء المسلمين ، وأهمها الرجولة والعقل والحرية والإسلام والعدالة وسلامة الحواس والعلم بالأحكام الشرعية .

وشهد العصر العباسي اتساع سلطة القاضي حتى أنه أصبح في بعض الأحيان يشرف على الشرطة ودار الضرب وبيت المال ، وينظر في المظالم ، ويتولى الحسبة ، وكان الخلفاء يعينون القضاة بحاضرة الخلافة ، وفي الولايات المختلفة ، ومما يذكر أن القضاء كان متأثرا في بعض الأحيان بسياسة الخلافة العباسية لرغبة بعض الخلفاء العباسيين في إضفاء الشرعية على أعمالهم وسياساتهم ، فكانوا يحاولون الضغط على القضاة لتتفق أحكامهم مع سياساتهم ، وأدت هذه السياسة إلى رفض بعض الفقهاء تولي وظيفة القضاء كالإمام أبي حنيفة النعمان الذي امتنع عن توليها في عهد الخليفة المنصور .

ومن التطورات الأخرى التي طرأت على نظام القضاء في العصر العباسي ظهور وظيفة " قاضي القضاة " ، وكان يتولاها كبير القضاة في حاضرة الدولة ، وكان يعين بدوره القضاة في الولايات ، ويراقب أحكامهم ، وكان يعهد إليه أحيانا النظر في أمور اليتامى والإشراف على الحسبة ودار الضرب وعيار المكييل والموازين .

## (٢) النظر في المظالم :

يمثل هذا النظام مستوى أعلى للقضاة يمكن المتخصصين من اللجوء إليه في حالة الطعن في حكم أصدره القاضي ، ويعود ظهور هذا النظام إلى عهد النبي عليه الصلاة والسلام وسار على هديه الخلفاء الراشدون من بعده ، وفي العهد الأموي كان عمر بن عبد العزيز أول خليفة يجلس بنفسه للنظر في المظالم ، وشاركه في هذا العمل عدد من خلفاء بني أمية وبني العباس فيما بعد

وفى العصر العباسى أنشئ ديوان خاص للنظر فى المظالم كان بمثابة هيئة  
تحكيم ، أو محكمة استئناف يلجأ إليها المتخاصمون عند الطعن فى حكم أصدره أحد  
القضاة كما كان النظر فى المظالم يتعرض لأمر أخرى لاتدخل فى اختصاص  
القضاء العادى كتعدى بعض الولاة على الرعية ، ومدى التزامهم بقواعد جباية  
الأموال ، والصرف من ديوان العطاء .

وكان يتولى شئون النظر فى المظالم " صاحب النظر فى المظالم " وتعد  
جلسته مع أعوانه فى المسجد ، ثم نقلت إلى دار العدل ، وكانت أحكامه تعتمد من  
ال خليفة ، ويرى فقهاء النظم الإسلامية أن صاحب النظر فى المظالم كان أكثر حرية  
فى إصدار أحكامه من القاضى العادى ، وحددوا الشروط التى يجب توافرها فىمن  
يتولى النظر فى المظالم وأهمها أن يكون رجلا جليل القدر نافذ الأمر عظيم الهيئة ،  
ظاهر العفة ، قليل الطمع ، كثير الورع ، وأن يحدد يوما للنظر يعرفه المتظلمون  
ويراجعه فيه الممتازون .

ويلزم لاتعداد محكمة المظالم حضور خمس جماعات هم : الحماة والأعوان  
لمواجهة أى عنف من جانب المتقاضين ، والحكام وكانوا ملمين بالأحكام المختلفة ،  
والفقهاء لاستشارة صاحب المظالم لهم ، والكتاب الذين يدونون أقوال المتقاضين ،  
والشهود .

## د. النظم الحربية :-

### ١- الجيش

يعود إلى الرسول عليه الصلاة والسلام بدء تكوين أول جيش للدولة الإسلامية ، وتعيين قواده ، وتحديد مهامه ، وكان الجيش يتكون من مقدمة وقلب وميمنة وميسرة ومؤخرة بالإضافة إلى فرق الاستطلاع الأمامية ، كما شارك النساء في تكوين الجيش بضرب الدفوف لإثارة حماس المجاهدين ، فضلا عن قيامهن بالسقاية وتضميد الجروح أثناء المعارك .

وكان المسلمون يحاربون بطريقة الصفوف المتراسة واستخدموا السيف والرمح والقوس والسهم في الهجوم ، ولبسوا الدرع والبيضة ( الخوذة ) للوقاية ، كما استخدموا المنجنيقات لرمى كرات الحجر على الأسوار والحصون ، والعرادات والدبابات الخشبية في هدم الحصون ونقب الأسوار المنيعه .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب أنشئ أول ديوان للجند كانت مهمته تسجيل أسماء الجند ورواتبهم ومتابعة أحوالهم وبلغ عدد الجند المدونين به في عهد عمر مائة وخمسون ألف جندي كانوا جميعا من العنصر العربي .

وقد ورث الخلفاء الأمويون النظم العسكرية التي أرساها أسلافهم ، وأضافوا إليها ما تطلبه عهدهم واتساع دولتهم ، واحتكاكها بالقوى المعاصرة لها ، وبخاصة العدو التقليدي للمسلمين وهو دولة الروم البيزنطيين .

وفي عهد الخليفة عبد الملك بن مروان استحدث نظام التجنيد الإجباري ، كما عرفت في عهد آخر خلفاء بني أمية طريقة " الكرديوس " في القتال وذلك بتقسيم الجيش إلى وحدات أو كتل صغيرة متراسة من الجند لكل وحدة منها قائدها .

وشهد الجيش الإسلامي تطورات عديدة في العصر العباسي تمثلت في تخلي الخلفاء عن الاعتماد على العنصر العربي في تكوين الجيش ، والاعتماد على الفرس أولا ثم على الترك والمغاربة والديلم والأكراد وغيرهم من العناصر المجلوبة .

وعلى الرغم من هذا التغيير فى عناصر الجيش ظل الجيش الإسلامى محتفظا بهيكلة الأساسى المكون من مقدمة وقلب وميمنة وميسرة ومؤخرة ، وقسم الجند إلى مجموعات من عشرة أو مائة أو ألف ومضاعفاتها ، وتولى قيادة كل منها قائد أو رئيس وحدة له لقبه الخاص ، فكان قائد العشرة يلقب بالعرف ، وقائد الجيش بالخليفة أو النقيب ، فى حين اتخذ رئيس المائة لقب القائد ، أما رئيس الجيش كله فكان يلقب بأمير الجيش .

وعرف الجيش فى العصر العباسى نظام الجاسوسية ، فكان بعض الرجال أو النساء يكلفون بالسفر إلى بعض البلدان المجاورة متكررين فى زى التجار أو الأطباء لجمع الأخبار عن العدو ونقلها لقيادة الجيش الإسلامى ، كما اهتم العباسيون بحماية حدود دولتهم بإقامة الحصون فى الثغور ، وبلغ من اهتمام هارون الرشيد بها أن جعل لها ولاية خاصة جديدة عرفت بولاية الثغور كان لها نظامها الخاص .

وقد حظى الجيش باهتمام حكام المسلمين على طول التاريخ الإسلامى سواء فى السلم أو وقت الحرب ، وإن كانت الأخطار الخارجية أو الحروب مع أعداء المسلمين كانت تتركز اهتماما أكبر بالجيش وتكوينه وتسليحه وإقامة الحصون والقلاع اللازمة لمواجهة العدو ، ويمثل هذا على حروب المسلمين ضد الروم البيزنطيين ثم ضد الصليبيين فى عهد الدولتين الأيوبيه والمملوكية . واهتم فقهاء النظم الإسلامية بالجيش ونظامه وتقاليده وحددوا الصفات الواجب توافرها فى من يتولى قيادة الجيش فقال ابن طباطبا على سبيل المثال أنها عشرة خصال مأخوذة من صفات الحيوان وهى :-

جراة الأسد ، وحيلة الخنزير ( أى قوة تحمله ) وروشان الثعلب ، وصبر الكلب على الجراح ، وغارة الذئب ، وحراسة الكركى ، وسخاء الديك ، وشفقة الدجاجة على الفرائج ، وحذر الغراب ، وسمن تعزو ( وهى دابة كانت بخراسان ومن صفاتها أنها تسمن على السفر والتعب ) .

## (٢) الأسطول

لم يهتم العرب فى صدر الإسلام بالحرب البحرية ، لبدائوتهم وعدم خبرتهم بركوب البحر ، وعندما فتحت بلاد الشام ، وأقام بها العرب رأوا فنون الحرب البحرية عند أعدائهم الروم ، فتطلعوا إلى ركوب البحر مثلهم ليكون لهم ما للروم من أساطيل حتى لا ينفرد عدوهم بالبحر ضدهم ، ووافق الخليفة عثمان بن عفان - على طلب معاوية بن أبى سفيان إنشاء أول أسطول فى الاسلام ، وهو الأسطول الذى قام بعده حملات صيفية (صوائف) وأخرى شتوية (شواتى) ضد الروم ، وتمكن من الانتصار عليهم فى أكثر من معركة بحرية ، ويعود إلى هذا الأسطول فضل فتح جزيرة رودس فى عهد معاوية نفسه .

واهتم ولاة مصر بدءا من ولاية عمرو بن العاص الثانية بأمر الأسطول فبنيت سفنه لأول مرة فى دار الصناعة بجزيرة الروضة التى أنشئت سنة ٥٤هـ ، كما اهتم حكام المسلمين بإنشاء المراكب التجارية فكانت المراكب النيلية تصنع بمصر إلى جانب المراكب البحرية .

وأدى الاهتمام بالبحرية الإسلامية إلى تخصيص ديوان يدير شئونها ، عرف بديوان الأسطول ، كان يشرف على بناء السفن وتجهيزها وتعيين القادة والجنود المدربين لركوبها والعمل عليها .

الفصل الثاني

**مظاهر الحضارة الإسلامية**



تعددت مظاهر الحضارة الإسلامية وتتنوع بين مظاهر اجتماعية ، وعلمية وأدبية وفكرية ومظاهر اقتصادية ، ونتناول فيما يلي التعريف بكل هذه المظاهر :

## (أ) مظاهر الحضارة الاجتماعية :

### (١) الأسرة :

تمثلت عناية الاسلام بالمجتمع فى اهتمامه بالأسرة باعتبارها اللبنة الأولى والأساسية للمجتمع ، ولذلك تعددت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التى تنظم الأسرة وتحدد أهدافها وتبين طرق رعايتها والحفاظ على كيانها ، وقد أولى الإسلام الزواج مكانة هامة باعتباره حق للرجل والمرأة على السواء ، واشترط لمشروعيته أن تتوفر فيه عناصر القبول ، واصداق المرأة ، واستئذان ولى أمرها ، مع عدم إجبارها على قبول زوج لا ترضاه كما حدد الإسلام أسس التعامل بين الزوجين على أساس توزيع المسؤولية بينهما حسب طاقة كل منهما ، فبينما ألزم الرجل بالقوامة والاتفاق والسعى لتوفير حياة كريمة لأسرته ، ألزم المرأة برعاية زوجها وبيتها وأبنائها

كما وضعت دساتير الإسلام أسس تربية الصغار تربية تفيدهم وتقويهم ، وبالتالي يقوى بهم المجتمع ، كما أكدت ضرورة إرضاع الطفل حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاع ، وألزمت الآباء والأمهات بتربية النشء تربية صالحة قوامها اتباع تعاليم الدين والأخلاق الحميدة ، كما لم يفرق الإسلام فى البنوة ورعايتها بين ولد وبنت بل انه حرم وأد البنات الذى كان منتشرا فى الجاهلية ، وصان كرامة البنت عند المولد ، وفى التنشئة ، وعند الزواج والطلاق ، وحفظ لها حقها فى الميراث وغيره من الحقوق ، ويمكن القول بأن المرأة لم تحظ فى أى تشريع سماوى بما حظيت به فى تشريع الاسلام من تقدير واحترام وحفظ لحقوقها فيما تملكه وتريد .

ويعتبر تشريع الميراث وتوزيعه فى الإسلام من أوضح التشريعات وأدقها فى تاريخ الإنسانية حتى أن بعض الفرائين الوضعية المسيئة فى البلدان غير

الاسلامية تأخذ بالمبادئ التي قررها الإسلام في توزيع ميراث المتوفى ،  
والمعروف أن القاعدة الأساسية في توزيع الميراث تقوم على جعل نصيب الذكر  
ضعف نصيب الأنثى لأن الذكر منوط به الاتفاق على أسرته دون التدخل في أموال  
زوجته .

## (٢) طبقات المجتمع الاسلامي :

يمكن القول بأن المجتمع الاسلامي كان يتألف من طبقتين رئيسيتين هما  
طبقة الحكام ، وطبقة المحكومين ، وتتألف الطبقة الأولى من الخليفة أو السلطان أو  
الأمير وأفراد أسرته ، ويليهما كبار موظفي الدولة وأتباعهم من جند وحرس وحاشية  
وخدم ، أما طبقة المحكومين فكانت بدورها تنقسم إلى فئتين عليا ودنيا ، أما العليا  
فتضم العلماء وفقهاء الدين والتجار والصناع والحرفيين عموما ، وتشمل الطبقة  
الدنيا أصحاب المهن المتواضعة كالحمالين والسقائين والفلاحين والرعاة ومن على  
شاكلتهم .

كما ضم المجتمع الإسلامي طوائف دينية غير مسلمة من النصارى واليهود  
والصابئة ، وقد نعموا جميعا في ظل الإسلام بحرية أداء شعائهم الدينية  
وممارسة أعمالهم المختلفة ومن بينها شغل الوظائف المختلفة في الدولة بما فيها  
الوظائف العليا .

وعندما استعان الخلفاء العباسيون بعناصر غير عربية سواء في مرحلة  
الدعوة أو بعد قيام الدولة فإن المجتمع الاسلامي أصبح يزدهم بكثير من العناصر  
الفارسية ثم التركية ، ونجحت هذه العناصر في التقرب إلى الخلفاء وفي تولي العديد  
من الوظائف الهامة في الدولة .

أما الرقيق فكان لهم دور ملحوظ في المجتمع الاسلامي ، ذلك أن الإسلام لم  
يحرم الرق ، وأن خفف من قسوته ومهد لإلغائه ، وقد اعترفت الدولة الاسلامية  
بالرقيق ، واهتمت بتنظيمه والإشراف عليه وأوصت بحسن معاملة الرقيق ، وكان  
من نتائج هذه السياسة أن تبوأ طبقة الرقيق مكانة طيبة في المجتمع أهلتها لتولى

مناصب الدولة الإسلامية العليا فى بعض الأحيان ، وعلى سبيل المثال حقق المماليك المشترون من أسواق النخاسة كرقيق نفوذا كبيرا فى الدولة الإسلامية حين استولى السلاجقة على السلطة فى القرن الخامس الهجرى (١١م) واستكثروا من المماليك الأتراك وعينوهم فى الوظائف الكبرى فى الدولة ، وأسندت إلى بعضهم قيادة الجيوش ، ووزعت عليهم الاقطاعات ، وأصبحوا من الطبقات المتميزة فى المجتمع الإسلامى ، ومن أمثلتهم الأتابكة الذين تولوا حكم أقاليم الدولة السلجوقية بعد تفككها وضعفها ، ومنهم أيضا سلاطين المماليك بمصر والشام ولم يكن دور الجوارى (وهن إناث الرقيق) أقل أهمية فى المجتمع الإسلامى من دور الذكور ، ويعود أصل الجوارى إلى ما كان يسبى منهن فى الحروب كأسرى ، وكان لهن أثر فى المجتمع بفضل ما توفر لهن من تحرر وتبرج انعكس على ملابسهن وزينتهن ومشاركتهن فى مظاهر الحياة الاجتماعية بدرجة تفوق مشاركة الحرائر من النساء ، وكان لهن دور فى مزج الأجناس وتقريب بعضها من بعض بثقافتها وتقاليدها لأنهن كن من أجناس وقوميات مختلفة ، وقد حظى كثير منهن بنصيب كبير من العلم والفن والأدب فكانت منهن الشاعرات والمغنيات اللاتي لعبن دورا هاما فى مجالس بعض الخلفاء والسلاطين .

### (٣) الاحتفالات والمواكب والألعاب المختلفة :

اهتم المجتمع الإسلامى فى سائر عصوره بالاحتفالات التى كان يشارك فيها الحاكم المحكومين ، وتعددت مظاهر الاحتفالات ومناسباتها لدرجة أن كثيرا من الرسوم وضعت لتنظيم كل منها حسب قواعد معينة يتم التقيد بها عند كل احتفال ، بل إن بعض المؤلفات كتبت لهذا الغرض ، ومن أمثلتها كتاب هلال الصابى " رسوم دار الخلافة " وكانت الأعياد الإسلامية من المناسبات الدينية التى كثر الاحتفال بها ، وأهمها عيد الفطر وعيد الأضحى اللذين يرجع بدء الاحتفال بهما إلى عيد النبى - صلى الله عليه وسلم - وكان يحتفل أيضا بأول أيام العام الهجرى ، ويذكرى المولد النبوى الشريف ، وذكرى ليلة الإسراء والمعراج ، وليلة النصف من

شعبان ، ومقدم شهر رمضان ، وليلة القدر ، ومن المعروف أن الاحتفال ببعض هذه المناسبات - قديما وحديثا - لا يستند إلى أى أساس من القرآن والسنة .

وكانت الطوائف غير الاسلامية تحتفل بأعيادها أيضا كأعياد النصارى واليهود ، والتي شارك فيها بعض كبار موظفى الدولة ، كما عرفت المجتمع الاسلامى فى العصر العباسى الاحتفال ببعض الأعياد الفارسية القديمة التى أحياها الفرس بعد ازدياد نفوذهم فى الدولة الاسلامية ، ومن أمثلتها عيد النيروز فى أول فصل الربيع ، وعيد المهرجان فى آخر العام .

وبالإضافة إلى الأعياد كانت مواكب الحكام تمثل احتفالات كبيرة فى المجتمع الاسلامى ، وذلك لما يسودها من أبهة وجلال ، حيث يشارك الخليفة فيها بخروجه مرتديا البردة وأبهى الثياب ومعه قضييب الخلافة وخاتمها ، ومن حوله كبار رجال الدولة والحرس والجند بأعداد كبيرة ، وكانت هذه المواكب تتم عند خروج الخليفة لأداء صلاة الجمعة أو العيدين ، أو عند خروج موكب الحج فى كل عام ، أو عند استقبال أحد الملوك أو السفراء وغير ذلك من المناسبات التى تزدحم كتب الأدب والتاريخ بوصف مواكبها .

كما اهتم المجتمع الاسلامى باحتفالات الزواج ، فكانت مراسمها تتسم بالبذخ والترف ، وسجلت لنا كتب التاريخ أوصاف بعضها كزواج الخليفة العباسى من بوران بنت الحسن بن سهل ، وزواج الخليفة العباسى المعتضد من قطر الندى بنت خمارويه وحفيدة أحمد بن طولون ، وكان وصف هذه الاحتفالات فى الروايات التاريخية والكتب الأدبية يفوق الخيال ، وعلى سبيل المثال كان المأمون يقف إلى جوار عروسه على حصير منسوج من خيوط الذهب ومرصع بالدر والياقوت بينما ينثر المدعوون اللآلىء بالآلاف على الموكب البهيج .

كما اعتنى المجتمع الاسلامى بمظهر اجتماعى آخر وهو الولائم التى كانت تقام فى كثير من المناسبات . وتأخذ شكلا كبيرا فى قصور الحكام والوزراء وكبار موظفى الدولة ، وشكلا أقل لدى من هم أدنى من ذلك ، وقد أخذ العباسيون عن الأمويين عادة " مد السماط " حيث كانت الأسمطة تضم أصنافا عديدة من الطعام المبالغ فى تنويعها والتفنن فيها .

ويرتبط بالاحتفالات فى المجتمع الاسلامى مظهر اجتماعى آخر وهو مجالس اللهو والطرب ، وقد حظى الغناء والموسيقى باهتمام معظم الحكام المسلمين، وما هو خمارويه أحمد بن طولون يزين جدران قصره بصور خشبية محفورة تمثل مغنيات وراقصات تصور ما كان يجرى فعلا فى مجالسه ، وكان محمد بن طغج الأخشيد مولعا أيضا بسماع المغنيين والمغنيات فى مجلس يضم وجوه القوم فى عصره .

وفى العصر الفاطمى زاد اهتمام الخلفاء بمجالس الغناء والرقص وبعضها كان يتم فوق سفينة من السفن تتخذ شكل طائر أو حيوان .

ومن جهة أخرى اهتم المجتمع الإسلامى بالألعاب الرياضية ، من أهمها رياضة معارك الديكة التى كان يلتف حولها جموع كبيرة من الناس لمشاهدة مصارعة الديوك لبعضها ، كما استهوت الناس فى ذلك العصر ألعاب المشعوذين والسحرة والأراجوز ، وألعاب الملاكمة والمصارعة والمبارزة بالسلاح الأبيض والرمى بالقوس والرمح وفنون الفروسية المختلفة ، كما نظمت رحلات صيد وصلتنا أخبارها فى بعض كتب التاريخ والأدب فضلا عن رسومها وصورها التى نقشت على بعض الأتية والأدوات وقطع الأثاث وغيرها .

## (ب) مظاهر الحضارة العلمية والأدبية والفكرية :

أشاد الإسلام بالعلم ودعا إلى التعلم ، وحث عليه منذ البدايات الأولى لظهوره ، وليس أدل على هذا من أن أولى آيات القرآن الكريم دعت إلى القراءة التى هى وسيلة العلم والتعلم ، وتكررت هذه الدعوة فى العديد من الآيات التى تشيد بالعلم وقدر العلماء ، كما عنى حكام المسلمين على طول التاريخ بالعلم والعلماء ، وأغدقوا الأموال عليهم ، ووفروا لهم الامكانيات اللازمة لبحثهم واطلاعهم ، وعمرت المساجد منذ عهد الخلفاء الراشدين ومرورا بكافة عهود دولة الاسلام بجلسات العلم التى شارك فى كثير منها الخلفاء والوزراء وولاة الأقاليم ، حتى أن مساجد المدينة ودمشق وبغداد والقيروان والقاهرة وغيرها أصبحت مراكز اشعاع ثقافى كبير قصدها طلاب العلم وشيوخه من سائر البلدان ، طلبا للعلم أو استزادة منه .

واهتم علماء المسلمين بعلوم الدين التى قامت على تفسير القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف ، كما اهتموا بعلوم اللغة العربية وآدابها ، ولم يصرفهم هذا الاهتمام أو ذاك عن العلوم العقلية الدنيوية ، فأسهموا فيها اسهاما كبيرا حتى أن مؤلفاتهم فى الطب والرياضيات والكيمياء والفيزياء والتاريخ والجغرافيا وغيرها من المعارف والعلوم ترجمت إلى اللغات اللاتينية ، وتعد حتى الآن مصدرا هاما للباحثين العرب وغير العرب ، وتعرض الصفحات التالية لأهم هذه العلوم وإسهام علماء المسلمين فيها :

### أولا : العلوم الدينية :

اهتم المسلمون بالعلوم الدينية والفقهية اهتماما لا نظير له ، فأقبلوا على التفقه فى الدين تنفيذا لنداء الله تعالى فى أول آيات القرآن الكريم " اقرأ باسم ربك الذى خلق " ، واستحابة لحديث النبى - صلى الله عليه وسلم - " من يرد الله به خيرا يفقهه فى الدين " وتجلى اهتمامهم فى ظهور عدد كبير من العلوم اعتمد بعضها على القرآن الكريم ، وبعضها الآخر على السنة النبوية والحديث الشريف ، واتجه بعض العلماء إلى علوم الفقه والعبادات بجميع فروعها ، وكان لظهور الأئمة الأربعة

باجتهاداتهم ، ومؤلفاتهم أثره الكبير فى حفز العلماء والفقهاء على الجد والاجتهاد والتأليف ، وقد تعارف جمهور العلماء على تسمية هذه العلوم بالعلوم النقلية أو الشرعية ، أو بالعلوم الدينية ، ونعرض لأهمها فيما يلى :

#### (١) علوم القرآن الكريم :

يعتبر تفسير القرآن الكريم من أهم العلوم التى نشأت واعتمدت على كتاب الله ، تشرح آياته ، وتفسرها ، وتستخلص منها الدروس والعظات والتعاليم ، وتعارف العلماء على حصر جهود المفسرين ومناهجهم فى منهجين يعتمد أحدهما على المأثور من الرسول - عليه الصلاة والسلام - وصحابته حيث ينقل عنه ويأخذ منه ، وعرف هذا المنهج بالتفسير بالمأثور ، ومن أشهر تفاسيره تفسير الطبرى المتوفى ٣١٠ هـ فى كتابه " جامع البيان فى تفسير القرآن " وتفسير ابن كثير الدمشقى (المتوفى ٧٧٤ هـ) .

أما المنهج الآخر فيعتمد على العقل واللغة وتفسير المعانى أكثر من اعتماده على النقل ، ويعرف بالتفسير بالرأى ، ومن أشهر تفاسيره تفسير الزمخشري (المتوفى ٥٣٨ هـ) وتفسير الرازى (المتوفى ٦٠٦ هـ) ، وأنوار التنزيل وأسرار التأويل " للبيضاوى (متوفى ٦٨٥ هـ) .

ويعود الاهتمام بتفسير القرآن الكريم إلى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام، وربما كان من أقدم المفسرين وأهمهم عبد الله بن عباس - وابن جريح السدى (متوفى ١٢٧ هـ) وابن مسعود ومحمد بن اسحق ، والطبرى وغيرهم .

ولم تقتصر علوم التفسير على تفسير آيات الذكر الحكيم فحسب ، وإنما أفادت أيضا عددا من العلوم والمعارف الأخرى ، وذلك لما هو معروف من ذكر القرآن الكريم لكثير من المعارف الطبيعية والمادية والدينية والروحية وغيرها ، وعلى سبيل المثال يعتمد علم التاريخ اعتمادا كبيرا ورئيسيا على القرآن الكريم وتفسيره فيما يتعلق بتاريخ الأمم السابقة على الاسلام ، وعلى مجريات أحداث السيرة النبوية الشريفة منذ بداية الوحي وحتى توقفه .

ومن أهم العلوم التى قامت على القرآن الكريم وتفسير علوم القراءة والتجويد ، والمحكم والمتشابه من آياته ، وأسباب النزول ، وغريب القرآن ، واعجازه ، وعرابه ، وغيرها ، وها هو الفقيه والمؤرخ السيوطى يفرّد أحد مؤلفاته وهو " الفرقان فى علوم القرآن " للحديث عن علوم القرآن الكريم ، ويخصّص لكل منها بابا ذكر فيه أهم المؤلفات التى وضعت فيه .

## (٢) علوم الحديث الشريف :

لا يقل اهتمام علماء المسلمين بالحديث النبوى الشريف والسنة النبوية عن اهتمامهم بالقرآن الكريم وتفسيره ، وذلك لما تضمنه الأحاديث النبوية من أحكام وقوانين تنظم الحياة والمعاملات فى المجتمع الإسلامى .

وتمثل هذا الاهتمام فى تأليف عدد ضخم من المؤلفات وظهور علوم كثيرة قامت على دراسة الحديث النبوى ، وقد نشأت بعض علوم الحديث فى أول الأمر مختلطة بالفقه حيث كان الفقهاء أصحاب المذاهب أصحاب أسانيد أيضا ، ومن أمثلة مؤلفاتهم وأهمها موطأ مالك بن أنس (متوفى ١٧٩هـ) ومسند أحمد بن حنبل (متوفى ٢٤١هـ) .

ويعتبر صحيح البخارى من أشهر كتب الحديث الثقة ، وقد وضعه أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى (متوفى ٢٥٦هـ) وجمع فيه أكثر من ٧٢٥٧ حديثا ، ثم حذف منها المكرر الذى وصل عدده إلى النصف تقريبا ، وكذا صحيح مسلم لأبى الحسين مسلم بن الحجاج القشبرى (متوفى ٢٦١هـ) ، وسنن ابن ماجة لمحمد بن يزيد (متوفى ٢٧٣هـ) ، وسنن أبى داود لسليمان ابن الأشعث الأزدي (متوفى ٢٧٥هـ) وصحيح الترمذى لمحمد بن عيسى الضحاك (متوفى ٢٧٩هـ) وسنن النسائى لأحمد بن على النسائى (متوفى ٣٠٣هـ) .

وكان من نتائج الاختلاف حول صحة بعض الأحاديث أن نشأت عدة علوم استهدفت ضبط الأحاديث النبوية متنا وسندا وصفه ، وذلك بعدما تسال إلى أحاديث الرسول من أقوال دخيلة ومدسوسة ، ومن أهم هذه العلوم علم مصطلح الحديث ، وعلم الناسخ والمنسوخ فى الحديث ، وغريب الحديث ومشاكله ، والمؤلف



والمختلف ، والجرح والتعديل ، وطبقات المحدثين وغيرها ، وبرز في كل من هذه العلوم عدد كبير من علماء الحديث تركوا لنا تراثا ضخما من المؤلفات تمثل حصيلة اجتهاداتهم ومبلغ علمهم بالحديث النبوى الشريف .

### (٣) علوم الفقه :

حدث اختلاف بين أئمة الفقه الاسلامى فى فهم بعض النصوص الفقهية - نتيجة لاجتهاد كل منهم - مما أدى إلى ظهور المذاهب الأربعة ، وبالتالي ظهور عدد من العلوم والمؤلفات التى خصصت لأراء علماء كل مذهب واجتهاداتهم ويأتى فى مقدمة فقهاء المذاهب أئمتها الأربعة الكبار وهم :

(١) أبو حنيفة النعمان بن ثابت المتوفى سنة ١٥٠ هـ .

ويعرف بإمام أهل الرأى لاعتماده على الرأى والقياس وكان اماما لمدرسة أهل الرأى بالعراق .

(٢) مالك بن أنس المتوفى سنة ١٧٩ هـ وكان إماما لدار الهجرة وهو صاحب " الموطأ " وكان يعتمد على الحديث النبوى اعتمادا رئيسيا - أى أنه من أئمة المأثور وكان اماما لمدرسة الحديث النبوى فى المدينة المنورة .

(٣) محمد بن إدريس الشافعى المتوفى سنة ٢٠٤ هـ وهو أول من استنبط أصول الفقه واعتمد فى مؤلفاته على العقل والاستنتاج ويعتبر الإمام الشافعى وسطا بآرائه بين أبى حنيفة ومالك أى بين منهج لاعتماد على الرأى والقياس ، ومنهج الاعتماد على المأثور من الأحاديث النبوية ، واشهر مؤلفاته كتاب " الأم " الذى يعد أصلا للمذهب الشافعى .

(٤) أبى عبد الله أحمد بن حنبل - المتوفى فى سنة ٢٤١ هـ وقد أخذ بالمأثور وابتعد عن الاجتهاد .

وبالإضافة إلى أئمة المذاهب الأربعة ظهرت مذاهب أخرى أقل انتشارا كالزيدية فى اليمن ، وكانوا قرييين من فقه الحنفية ، والإباضية فى المغرب ، وعمان ، وكان لكل منها وغيرها من المذاهب علماء وفقهاء أسهموا بتأليف عدد من المؤلفات الفقهية الهامة التى تعكس فكرهم واجتهاداتهم .

كما عكف عدد من العلماء والفقهاء على تأليف عدد من المؤلفات عرفت بالفتاوى كانت بمثابة تطبيقات للأحكام وفقا لكل مذهب من المذاهب المعروفة والمتبعة ، وعلى سبيل المثال بلغت فتاوى ابن تيمية - وهو من أئمة الحنابلة - خمسة وثلاثين مجلدا ، وتعتبر وغيرها من كتب الفتاوى مصدرا أساسيا لعلماء الفقه والتشريع حتى وقتنا الحاضر .

#### (٤) علم الكلام :

ظهر هذا العلم نتيجة لكثرة الجدل والكلام فى المسائل الفقهية والعقائدية من جانب العلماء والفقهاء المتخصصين الذين كانوا يعقدون المناظرات ، ويصيغون الأقوال على نمط منطقي أو جدلي وكان الرد على أقوال بعض من دخل الاسلام من أبناء الديانات السابقة سببا آخر من أسباب ظهور علم الكلام وزاد عدد المتكلمين وكذا عدد الناقدين لهم فى العصر العباسي الأول ، مما كان له أثره فى ازدهار عدد من العلوم من أهمها علم الكلام ، وتعد فرقة المعتزلة وعلمائها من أشهر المشاركين فى هذه الحركة بأرائهم وأقوالهم ومؤلفاتهم التى استهدفت الرد على الملحدين والمجادلين فى الدين وأدى انحياز الخلافة العباسية فى بعض الأوقات إلى آراء المتكلمين والفلاسفة إلى زيادة انتشار ظاهرة الكلام والجدل وعلومها ، ويعتبر كل من " واصل بن عطاء " والإمام أبو حامد الغزالي والكندى من أشهر المتكلمة فى العصر العباسي ، ولكل مؤلفاته وأراؤه ، التى تعكس ما بلغه علم الكلام من استقرار وانتشار فى عالم الاسلام ، حتى انه أصبح يعرف بعلم الإلهيات ويعرف المتكلمة بعلماء الإلهيات .

#### ثانيا : العلوم اللغوية :

اهتم العرب المسلمون بلغتهم العربية وفروعها اهتماما ملحوظا ، فبحروا تراثها الثمين من شعر ونثر وخطب وأمثال وغيرها ، كما اهتموا بدراسة النحو ، وشرعت مدارس علومه التى وضعت القواعد والأحكام للغة وتراكيبها وألفاظها وفنونها ، وأدى هذا الاهتمام إلى ظهور مدارس نحوية عديدة فى العالم العربى

والإسلامى فى البصرة والكوفة والقاهرة ودمشق والقيروان بالإضافة إلى مدارس الحجاز واليمن لدراسة اللغة العربية وقواعدها ، وكان أبو الأسود الدؤلى أول من اشتغل بالنحو وعلومه فى العصر الأموى ، كما اشتهر فى العصر العباسى أبو عمرو بن العلاء ، والخليل بن أحمد الذى يعود إليه فضل وضع علم العروض وقواعده ، وسيبويه الفارسى ، والأصمعى والكسائى وغيرهم .

وفى مجال الأدب نال الشعر العربى ما لم ينله فن آخر من فنون اللغة العربية وآدابها ، حيث تعددت المناهج فى دراسته تبعا لتعدد مجالات الشعر وفنونه ومذاهبه وموضوعاته ، والمؤثرات التى داخلته كالفارسية والتركية والأرمينية والمغربية وغيرها ، وقد حظى العالم العربى والإسلامى بعدد كبير من الشعراء البارزين منذ العصور الباكزة للإسلام .

أما النثر العربى فكان له كتابه البارزون من أمثال ابن المقفع الذى نقل عددا كبيرا من الكتب الفارسية إلى اللغة العربية ، ومنهم أيضا عبد الحميد الكاتب ، وابن قتيبة ، والجاحظ ، وغيرهم من أدباء العربية من شرق العالم الإسلامى وغربه .

ويتصل بالعلوم اللغوية العربية تأليف القواميس ، معاجم اللغة العربية ، فقد اهتم علماء اللغة بجمع مفرداتها وتراكيبها وشرحها ، والتعريف بأصولها ودلالاتها اللفظية واشتقاقاتها ، وكانت علوم القرآن الكريم ، والحديث النبوى الشريف دافعا هاما لزيادة الاهتمام باللغة العربية وعلومها وفى هذا المعنى يقول الراغب الأصفهاني فى معجم مفردات غريب القرآن " أن أول ما يحتاج أن يشتغل به من علوم القرآن العلوم اللفظية ومن العلوم اللفظية تحقيق الألفاظ المفردة .. "

ويعد الخليل بن أحمد صاحب " كتاب العين " من رواد التأليف فى مجال المعاجم العربية ، فهو أول من وضع فكرة المعجم ، وساعده على هذا ثقافته الواسعة وأذنه الموسيقية مما مكنه من انجاز معجمه ووضع أوزان العروض وغيرها ، كما نجح فى ابتكار نظام جديد للمعجم يقوم على الأصوات التى كان يراها شبيهة لأنغام الموسيقى ، وخلفه أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى (سنة ٢٢٣ هـ) وكان عالما فى

اللغة والأدب وبنى معجمه " الغريب المصنف " على المعانى والموضوعات وليس على منهج الخليل بن أحمد الذى اعتمد على مخارج الحروف والأصوات ، وسار على نهجه علامة الأندلس ابن سيدة فى كتابه " المخصص " ثم تتابع تأليف المعاجم اللغوية فى القرن الرابع الهجرى على يد الأزهري (متوفى ٣٧٠هـ) فى معجمه " التهذيب " الذى سار فيه على نهج الخليل بن أحمد فى معجمه " العين " والصاحب بن عباد (المتوفى ٣٨٥هـ) وفى معجمه " المحيط " ثم صحاح الجوهري لاسماعيل بن حماد (متوفى ٣٩٨هـ) ويضم أربعين ألف مادة ، ويتميز بالتزامه بالصحيح من الألفاظ وتجريد الكلمة من زوائدها .

ولم يكن علماء اللغة العربية بالمغرب العربى والأندلس أقل اهتماما باللغة العربية وتأليف معاجمها فى القرنين الرابع والخامس الهجريين ، وها هو أبو على القالى - (متوفى سنة ٣٥٦هـ) يمدنا بمعجمه " البارع " غير أن أعظم معجمين فى اللغة العربية يتمثل فى " المخصص " و " المحكم " لابن سيده ( متوفى ٤٥٨هـ) الذى جمع فيهما ما تفرق فى المعاجم العربية والكتب والرسائل وجعلها فى كتاب واحد يغنى عنها جميعا ، مع تميزه بالدقة والتعبير عن معانى الألفاظ وتصحيح ما ورد فيها من أخبار .

ويأتى بعد ذلك " أساس البلاغة " للزمخشري ( متوفى ٥٣٨هـ) " والمصباح المنير " للفيومي " متوفى سنة ٧٧٠هـ) ، " ولسان العرب " لابن منظور (متوفى سنة ٧١٦هـ) الذى جمع فيه حوالى ثمانية ألف مادة اعتمدت جميعها على ما سبقه من معاجم .

### ثالثا : العلوم العقلية :

#### (١) الترجمة :

من المعروف أن العناصر غير العربية من علماء المسلمين شاركت فى النهضة الثقافية الإسلامية مشاركة كبيرة ومؤثرة ، كما كان لأهل الذمة من نصارى ويهود وصابئة دورهم أيضا فى إثراء هذه النهضة وبخاصة فى مجال الترجمة من المعارف السابقة .

ويعود ظهور حركة الترجمة إلى عهد الرسول - صلى الله عليه وسلم - حيث كان يكلف بعض صحابته بتعلم لغات الآخرين حتى يتيسر للعرب ترجمة الكتب والرسائل التي ترد من أقطارهم ، واستمر الاهتمام بحركة الترجمة خلال العصر الأموي ، ولكنها حققت أكبر تطور لها في العهد العباسي ، وبصفة خاصة في عهد الخليفة المأمون ، حيث نشطت حركة البحث عن المخطوطات القديمة وجلبها من البلدان المتوفرة بها وترجمتها إلى اللغة العربية .

وعكف علماء المسلمين على ترجمة المعارف والعلوم اليونانية والفارسية والسريانية والعبرية القديمة إلى اللغة العربية ، وكان من أوائل المترجمين المسلمين أبو يحيى بن البطريق (متوفى حوالي سنة ١٨٤ هـ) الذي نقل بعض كتب جالينوس وأبقراط في الطب ، ويعود تأليفها إلى القرن الخامس قبل الميلاد ، وكان حنين بن اسحق (١٩٣ - ٢٦٠ هـ) من أشهر المترجمين المسلمين حتى أنه لقب بشيخ المترجمين ، وقد برز في ترجمة الكتب اليونانية القديمة ، وبلغ مجموع ما قام بترجمته منها نحو خمسين كتابا بالإضافة إلى كتب أفلاطون وأرسطه .

وأدى نشاط حركة الترجمة إلى نتائج باهرة من أهمها أن الترجمات العربية لمعارف الأقدمين حفظتها بعد ضياع كثير من أصولها ، كما أدت إلى إثراء اللغة العربية ببعض الكلمات والمصطلحات من اللغات الأخرى ، ولفتت أنظار العلماء العرب إلى بعض العلوم ، كما أنها حفزت علماء المسلمين إلى تمحيص ما ترجموه ، تصحيحه والإضافة إليه ، كما أدت إلى ابتكار مناهج بحث جديدة في العلوم المختلفة ، ويعود إلى حركة الترجمة أيضا فضل إنارة الطريق للأوربيين حيث أخذوا من الإنتاج العلمي العربي الإسلامي الكثير ، مما كان له أثره الواضح في ارتقاء العلوم في أوروبا فيما يعرف بعصر النهضة.

## (٢) التاريخ

ارتبطت الكتابة التاريخية الإسلامية منذ بدايتها بالعلوم الدينية ، فكانت أول كتابات العرب المسلمين كتابة السيرة النبوية ، كما كتبوا في الأنساب ورواية الأخبار ، وقصص البطولة والحروب التي كانت تعرف بأيام العرب في الجاهلية

ثم في الإسلام ، وكان لهم روايتهم منذ بداية العصر الإسلامي من أمثال عبيد بن شريح الجرمي اليمنى الذى صنفا كتابا عن ملوك الين القدامى ، وروى بن منبه اليمنى صاحب كتاب " التيجان وملوك حمير " وعروة بن الزبير بن العوام ، وابن هشام وابن سعد رواة سيرة النبى عليه الصلاة والسلام ، كما كتبوا فى الطبقات وترجموا للعلماء والفقهاء ، واهتم مؤرخو الاسلام الأوائل بالكتابة عن الأمم السابقة على الإسلام والتاريخ لأحوالها وأخبارها ، ولعلمهم فى هذا كانوا متأثرين بالقرآن الكريم الذى أفرد آيات وسور عديدة للحديث عن الأمم والرسل والأنبياء السابقين .

وظلت العلاقة وثيقة بين علوم الدين والتاريخ حتى أن كثيرا من المؤرخين المسلمين المتأخرين جمعوا بين كتابة التاريخ وعلوم الدين من تفسير وحديث وفقه ، بل أنهم كانوا يرون فى التاريخ علما يتصل بالدين وقضاياها ، ومن أمثال هؤلاء الكافيجى (متوفى ٨٧٩ هـ) صاحب كتاب "المختصر فى علم التاريخ" الذى خصص جانباً كبيراً منه لبيان أهمية التاريخ وعلاقته بعلوم الدين ، وكذا السخاوى (متوفى ٩٠٢ هـ) الذى أشار فى كتابه " التبر المسبوك فى ذيل السلوك " إلى فائدة التاريخ لعلوم الشريعة .

ويمكن حصر الكتابة التاريخية المتنوعة فى نوعين أو منهجين رئيسيين هما : التاريخ الحولى والتاريخ الموضوعى .

ويعتمد الأول على ذكر أحداث كل سنة مرتبة حسب الشهور والأيام ، ويعتبر ابن جرير الطبرى (٢٤٤ - ٣١٠ هـ) من أقدم مؤرخى التاريخ الحولى منذ بداية التاريخ الهجرى وحتى سنة ٣٠٢ هـ وذلك فى كتابه الشهير " تاريخ الرسل والملوك " أما الحافظ الذهبى (٦٧٣ - ٧٤٨ هـ) فقد أضاف إلى المنهج الحولى تقسيم الحوادث حسب العقود (عشرة أعوام لكل عقد) وذلك فى كتابه " تاريخ الإسلام " الذى يضم واحدا وعشرين جزء ضخما .

كما ظهر تطور آخر فى تأثر التاريخ الحولى بتاريخ السير والطبقات والتراجم ، حيث وضعت مؤلفات حولية تتناول فترة زمنية محددة ، أو فئة بعينها

مثل كتاب " الحوادث الجامعة والتجارب النافعة فى المائة السابعة " للفوطى ، وكتاب " الدرر الكامنة فى أعيان المائة الثامنة " لابن حجر العسقلانى (متوفى سنة ٨٥٣ هـ ) الذى رتب مادته حسب حروف الهجاء ، كما فضل بعض المؤرخين الكتابة حسب الموضوعات - ككتابة تاريخ كل دولة على حدة ولكن حسب المنهج الحولى أيضا مثل النويرى فى كتابه " نهاية الأرب فى فنون الأدب " .

أما التاريخ الموضوعى فامتدت أنواعه وصوره ليشمل التاريخ العام أو العالمى ، وفيه يؤرخ للدول أو الخلفاء أو الحكام بشكل عام ومن أمثله " كتاب الأخبار الطوال " لأبى حنيفة الدينورى ، وكتاب " الروضتين فى أخبار الدولتين " لأبى شامة ، وكتاب " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " لابن واصل ، و " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " لابن شداد ، و " تاريخ الخلفاء " للسيوطى ، و " اتعاظ الحنفا فى ذكر الأئمة الخلفاء " للمقرئى وغيرها .

ومن صور التاريخ الموضوعى التاريخ حسب الطبقات وهو منهج إسلامى قديم تعود بدايته للتأريخ لصحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام ، ومن أقدم المؤلفات حسب هذا المنهج طبقات ابن سعد ، والطبقات الشافعية لتاج الدين السبكي ، والطبقات الكبرى للشعرانى ، وطبقات الشعراء لابن المعتز .

ويعتبر التاريخ للأنساب أحد صور التاريخ الموضوعى وساعد على معرفته ظهور عدد كبير من النسابين واهتمامهم بالتأريخ لقريش وأنسابها ، ومن أقدمهم مصعب الزبيرى (متوفى ٢٢٣ هـ ) صاحب " النسب الكبير " ، "نسب قريش " ، والزبير بن بكار (متوفى ٢٥٩ هـ ) وكتابه " نسب القرشيين " ، والبلاذرى (متوفى ٢٧٩ هـ ) وكتابه " أنساب الأشراف " ، وغيرهم .

كما حفل التاريخ الإسلامى بأسماء عدد كبير من المؤرخين الذين اشتهروا بمؤلفاتهم التى اتخذت شكلا موسوعيا ضم العديد من المعارف المرتبطة ببعضها كالجغرافيا والتاريخ " كتب المسالك والممالك " ، وعلوم الدين واللغة والأدب والنظم المختلفة ، ومن أمثلتهم ابن الأثير صاحب كتاب " الكامل فى التاريخ " وابن فضل

الله العمري صاحب " التعريف بالمصطلح الشريف " والقلقشندي صاحب " صبح الأعشى فى صناعة الانشا " ، والمقرئى مؤلف " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار " ، وابن خلدون صاحب كتاب " العبر وديوان المتبدا والخبر " وغيرهم كثير .

### (٣) الجغرافيا :

لم يكن اهتمام العرب المسلمين بالجغرافيا أقل من اهتمامهم بالتاريخ ، فتعددت مؤلفاتهم فى شتى فروع الجغرافيا الاقتصادية والبشرية والطبيعية ، ومن أشهر الجغرافيين المسلمين ثابت بن قره الحرانى الذى وضع عدة مؤلفات فى موضوعات جغرافية دقيقة بحركة الكسوف ، وابن خردادبة صاحب كتاب المسالك والممالك ، والبنائى الذى كان يمتلك مرصدا خاصا به يدرس فيه حركة النجوم ، وله مؤلفه الشهير فى الفلك " الزيج الصابىء " والأصطخرى ، وابن حوقل صاحب كتاب " صورة الأرض " والإدريسى مؤلف كتاب " نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق " الذى يضم مجموعة من الخرائط النفيسة ، والمقدسى مؤلف " كتاب أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم " ، وياقوت الحموى صاحب كتاب " معجم البلدان " .

كما كان لجهود الرحالة العرب والمسلمين ومؤلفاتهم التى دونوا فيها مشاهداتهم فى البلدان التى زاروها أثرها فى إثراء المؤلفات الجغرافية بما تضمنته من معارف ومشاهدات ووصف للأرض وما عليها .

وبصفة عامة تميز الجغرافيون المسلمون بنظرتهم العلمية الواقعية لموضوعات الجغرافيا التى كتبوا عنها ، مما جعل بعض الباحثين المحدثين يشهد لهم بالسبق فى تناول مبادئ الجغرافيا البشرية الحديثة ، وعلى سبيل المثال معالجتهم لتأثير الضوابط البيئية والعوامل الجغرافية على حياة الناس وسلوكهم ، ومحاولة الربط بين البيئة ومظاهر النشاط البشرى كما يتمثل فيما ذكره بعض الجغرافيين المسلمين كالمسعودى فى كتابه " التنبيه " والمقدسى فى كتابه " أحسن التقاسيم " وابن رسته فى كتابه " الأعلام النفيسة " ، وابن خلدون فى مقدمته من أن



المناطق التى تتوفر فيها المياه والرطوبة يختلف سلوك سكانها عن تلك التى يسودها الجفاف لقلة المياه .

وفى القرن الرابع الهجرى ( ١٠ م ) تميزت مؤلفات الجغرافيين المسلمين بوضع خرائط عن عالم الإسلام وأقاليمه ، ومن أشهرهم ابن خرداذبة ، والاصطخرى ، وابن حوقل ، والمقدسى ، وابن فضلان ، والمسعودى ، والهمداني ، وفى القرن التالى ازدهرت حركة التأليف الجغرافى ورسم الخرائط الشاملة ، ويمثلها الشريف الإدريسي ، وعبد الله البكرى ، وقد تميزت المؤلفات الجغرافية بشده الاهتمام بأقاليم العالم الإسلامى وما يجاورها من أقطار ، بل أن بعض المؤلفات خصصت للتعريف بجغرافية قطر بعينه كصفة جزيرة العرب للهمداني ، وماكتبه البيرونى عن الهند ، والبعض الآخر اتخذ شكل المعجم الجغرافى كمعجم البلدان لياقوت الحموى .

ومن الجدير بالذكر أن جهود الجغرافيين المسلمين كان لها تأثيرها الكبير فى تطوير الفكر الجغرافى الأوروبى بعد ترجمة هذه المعارف العربية الإسلامية إلى اللغات اللاتينية ، فتعلمت منها أوروبا علوم الجغرافيا فى العصور الوسطى مما كان له أثره على اتمام حركة الكشوف الجغرافية فيما بعد وتأثيرها المعروف على التاريخ والجغرافيا فى العصر الحديث .

#### (٤) الجيولوجيا :

جاءت معلومات العلماء العرب والمسلمين عن الجيولوجيا متناثرة فى كتب التاريخ والجغرافيا والعلوم الطبيعية الأخرى ، وذلك فى مجال تفسيرهم للظواهر الطبيعية ، ومن أشهر المؤلفات التى وردت بها معلومات جيولوجية كتاب الشفاء لابن سينا حيث وردت به معلومات عن المعادن والآثار العلوية ، وتكون الجبال من طين لزج جف وتحجر بمرور الزمن وهو مايتفق فى كثير منه مع بعض النظريات الجيولوجية الحديثة ، وكذا حديث ابن سينا عن أسباب الزلازل وظواهرها وفوائدها حيث تؤدى إلى تفتح عيون المياه وخاصة المعدنية منها فيفيد منها الناس .

كما تضمن كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية للبيروني ، وكتاب القانون للمسعودي معلومات قيمة عن عمر الأرض ، وعوامل التعرية ، وتكوين القشرة الأرضية ، والسهول ، والمعادن ، والجواهر ، والعصور الجيولوجية ووصفها ، وما صاحبها من تغيرات طرأت على القشرة الأرضية ببطء شديد ، وهو ما يتفق مع الرأي الحديث في هذا الشأن .

كما عني كتاب " الجماهر في معرفة الجواهر " للبيروني بدراسة المعادن والبللورات والفلزات والأحجار الكريمة كالياقوت والماس واللؤلؤ والمرجان والزمرد والزئبق وغيرها وذكر أنواع كل منها ، وأشار ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك إلى المناجم ، وتوزيع المعادن المختلفة وكيفية استخراج الزئبق من أقاليم ما وراء النهر ، والرصاص من أقاليم فرغانة وكرمان ، والكحل من أصفهان ، والرخام من تبريز ، والكبريت من سوريا ، والملح من عبادان ، والبارود من بشاري ، والياقوت والعقيق والزمرد من مصر وخراسان ، والذهب من جبال العلاقي في منطقة أسوان بمصر ، والحديد من خراسان وأسبانيا وفاس .

#### (٥) الفلسفة :

يقول الخوارزمي أن الفلسفة علم حقائق الأشياء والعمل بما هو أصلح ، ويعرفها العلماء المعتدثون بأنها علم المبادئ والعلل والبحث عن العموميات العالية للكائنات ، والبحث في النفس والعالم وخالق الموجودات ، وقد أفاد العرب المسلمون من ترجمة كتب الحكمة والفلسفة اليونانية والفارسية والهندية والسريانية ووقفوا على غوامضها ، وعكفوا على دراستها وشرحها والتعريف بها ، فساعد هذا على ظهور الفلاسفة العرب والمسلمين في القرن الثالث الهجري ، وإن كانت أعدادهم قليلة في بلدان العالم الإسلامي ، إلا أنهم استطاعوا بعلمهم وحبهم نشر آرائهم ، وإنارة العقول بها ، كما شارك بعض الفلاسفة علماء الكلام في البحث حول أمور الدين والعقائد والإلهيات ، ومن أمثلة ذلك القول والاختلاف في عهد الخليفة العباسي

المأمون حول نزول القرآن وهو ما يعرف في كتب التاريخ والدين " بمحنة القول بخلق القرآن الكريم " .

ويعتبر أبو عمر محمد بن يوسف المصري المعروف بالكندي من أشهر فلاسفة العرب والمسلمين ( متوفى في ٢٣٦هـ / ٨٥٠م ) حتى أنه يعرف بفيلسوف العرب ، وكان مقرباً من الخليفتين العباسيين المأمون والمعتصم لعلمه وفضله ، وينسب إليه تأليف أكثر من مائة وخمسين مؤلفاً ورسالة نقل معظمها إلى اللغات اللاتينية ، وجمعت بين عدة علوم ومعارف فلسفية وكيميائية وتاريخية ، كما أنه ترجم الكثير من المؤلفات اليونانية إلى العربية من أهمها كتاب الأتولوجيا لأرسطو ، وقد عكف الكندي على دراسة فلسفة كل من أفلاطون وأرسطو ، وحاول التوفيق بين آرائهما ، حتى أن بعض العلماء المحدثين يرى في الكندي وفلسفته طبعة ثانية لمذهب الأفلاطونية الحديثة ، وقد جرت عليه آراؤه ودراساته عداء المعتز له وسجنه وضياع معظم مؤلفاته .

واشتهر من فلاسفة المغرب الإسلامي والأندلسي عدد لا بأس به منهم ابن زهر ، وابن طفيل ، وابن رشد ، والفارابي (متوفى ٣٤٠هـ / ٩٥٠م) وهو صاحب المؤلفات العديدة في السياسة وعلم النفس وما وراء الطبيعة ، فضلاً عن شروحه لأرسطو مما دعا إلى تلقيه بالمعلم الثاني تمييزاً له عن المعلم الأول أرسطو ، ومن أشهر مؤلفات الفارابي "رسالة في نصوص الحكم" وأخرى في آراء أهل " المدينة الفاضلة " .

ونعود إلى المشرق الإسلامي لنذكر الفيلسوف أبو حيان التوحيدى - الذى ولد في بغداد سنة ٣١٠هـ وتوفى بشيراز حوالى سنة ٤١٤هـ وقد وصفه ياقوت الحموى في معجمه بأنه " أديب الفلاسفة وفيلسوف الأدباء " ، وذلك لتفوقه في المزج بين الأدب والفلسفة ، ومن أشهر مؤلفاته " الإمتاع والمؤانسة " " والإشارات الإلهية " " ورياض العارفين " وكتاب " الكلام في الكلام " وكتابه المقابسات " الذى

يضم ١٠٦ مقابلة أو محاوراة بين العلماء تدور حول التعاريف الفلسفية، والطبيعية والمنطق والالهيات وغيرها من الموضوعات.

ويعتبر أبو حامد الغزالي (متوفى ٥٠٥هـ / ١١١١م) من أشهر فلاسفة المسلمين ، وهو صاحب الكتاب الأشهر " إحياء علوم الدين " الذى استحق من أجله التلقب بحجة الإسلام ، فقد كان الغزالي مصلحا دينيا كبيرا ومتشددا ومفكرا أصيلا ، وفيلسوبا مدققا .

ولا نغفل ذكر مجموعة من الفلاسفة والعلماء ظهرت فى البصرة فى القرنين الخامس والسادس الهجريين عرفت بإخوان الصفا ، وجهت اهتمامها لما يقوى الخلافة الضعيفة ، ويصلح الأخلاق الفاسدة ، ويأخذ بيد الناس الذين يعانون من الفقر والفاقة ، وكانت مجموعة إخوان الصفا ترى فى دمج التشريعات الإسلامية ومذاهب الشيعة والمتصوفة مع مبادئ الأخلاق المسيحية وآراء الفلاسفة اليونان - وسيلة للإصلاح ، وسجلوا نتائج عملهم وعلمهم فى احدى وخمسين رسالة عرفت برسائل إخوان الصفا ، شرحوا فيها معظم الظواهر الطبيعية ، والعقائد الدينية ، مما يعد ممثلا للفكر الإسلامى فى العصر العباسي ، ولكن أهل السنة المخالفين لهم أحرقوا رسائلهم بعد تجريمهم لها ، وذلك فى القرن السادس الهجرى (١٢م) .

#### (٦) الطب :

كان للعرب والمسلمين إسهامهم الكبير فى مجالى علم الطب وممارسته. ويعتبر أبو بكر الرازى (٢٥١ - ٣١٠ هـ) من أعظم عظماء الطب المسلمين وأشهرهم ، فقد وضع مؤلفات عديدة فى الطب والكيمياء وبعض الأمراض فضلا عن كتابه " الحاوى " الذى يعتبر موسوعة طبية كبيرة نقلت مع مجموعة من مؤلفاته الأخرى إلى اللغة اللاتينية ويتكون " الحاوى " من أربع وعشرين جزءا تضم كل ما قيل فى الطب وفنونه من قبله ، وقد نقله إلى اللاتينية فرج بن سالم اليهودى بأمر من ملك نابولى وصقلية ، ومما يذكر أن مكتبة باريس التى يحفظ بها الكتاب لم تسمح بإعارته إلى ملك فرنسا إلا بعد إيداعه مبلغا كبيرا من المال كتأمين للكتاب

الشمين ، كما يعود إلى الرازي أيضا ريادته في ممارسة التشريح ، واستخراج خيوط الجراحة من الحيوان واستخدامها .

ومن علماء المسلمين المشهورين في الطب أيضا ابن سينا ( ٣٧٠-٤٣٠ هـ ) الذي عرف بالشيخ الرئيس لأنه جمع بين عدة معارف وعلوم كالطب والفلسفة والفقه والشعر ، ومن أهم مؤلفاته في الطب " القانون في الطب " الذي نقل مع غيره من مؤلفاته الطبية إلى اللاتينية ، وظلت مصدرا لدراسة الطب في جامعات أوروبا حتى القرن السابع عشر الميلادي ، ولا تزال تعد من المصادر الأساسية في دراسة تاريخ الطب حتى الآن .

ومنهم أيضا ابن النفيس ( متوفى سنة ٦٨٧ هـ ) مكتشف الدورة الدموية ، ورائد استخدام الغذاء في العلاج عن طريق تنظيمه مما آثار عليه الصيادلة في عصره ، لأنه فضل تنظيم الغذاء في العلاج على تعاطي الدواء ، ومن أشهر مؤلفاته كتاب الشامل في الطب ، وكتاب المذهب في الكحل ، وغيرهما كثير في مجالات الطب والمعارف الأخرى ذات الصلة به .

ومنهم أيضا علي بن عيسى أشهر أطباء العيون المسلمين وله أكثر من ثلاثين كتابا في علم الرمد من أهمها تذكرة الكحالين الذي تمت ترجمته إلى اللغة اللاتينية .

ويتضح لنا من المؤلفات الطبية التي وضعها علماء مسلمون أن معظمهم اتبع المنهج التجريبي في وضع مؤلفاته ، فقد كان منهم فريق من الأطباء الممارسين الذين شخّصوا الأمراض وواجهوها على أساس المشاهدة والملاحظة ، ومن أشهر هؤلاء الرازي ، ومنهم من درس الطب كفرع من فروع المعرفة ، وسعى إلى استكمال معرفته به بالممارسة بأسلوب منطقي ، ولهذا عرف هذا الفريق من العلماء بالفلاسفة الأطباء ، ومن أشهرهم ابن سينا ، وقد اعتمد الفريقان : الممارسون ، والفلاسفة على النهج التجريبي في دراستهم ومؤلفاتهم ، فقد أدرك كل من الفريقين أهمية التجربة ، فكان يرى أنها علم له أصوله وأنه يجب على الطبيب أن يلم

بالتجربة قبل الشروع فى تشخيص المرض وعلاجه ، وهاهو الرازى يرفض إجراء عملية جراحية لعينه بعد أن فقد بصره فى أخريات أيامه لأنه سأل الطبيب الجراح قبل أن يبدأ فى إجراء العملية له عن عدد طبقات أنسجة العين ، ولما اضطرب الطبيب ولم يجب قال له الرازى قولته الشهيرة " إن من يجهل جواب مثل هذا السؤال عليه ألا يمكس بألة يعيث بها فى عيني " .

ويقول فى كتابه المرشد " ليس يكفى فى إحكام صناعة الطب قراءة كتبها ، بل يحتاج مع ذلك إلى مزاوله المرضى ، إلا أن من قرأ الكتب ثم زاول علاج المرضى يستفيد من قبل التجربة كثيرا ، ومن زاول المرضى من غير أن يقرأ الكتب يفوته ويذهب عنه دلائل كثيرة ، ولا يشعر بها البتة ، ولا يمكنه أن يلحق بها مقدار عمره ، ولو كان أكثر الناس مزاوله للمرض ، وما يلحقه قارئ الكتب مع أدنى مزاوله فيكون كما قال الله تعالى " وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون " .

وعن العلاج كان الرازى ينصح الأطباء الصغار باستخدام النباتات الطبيعية " حيث أنها تشفى وتتفع فعليك بها دون العقاقير ، وحيث المواد البسيطة تكفى ، فعليك بها دون المركبة " .

#### (٧) الكيمياء :

وفى مجال العلوم الكيميائية اشتهر جابر بن حيان الذى يلقب بأبى الكيمياء العربية ، وهو أول من أدرك أهمية الاختبار العلمى ، وإليه ينسب تأليف مائة كتاب فى علوم الكيمياء وتجاربها ، وعلوم الأدوية أيضا ، ومن أهم مؤلفاته كتاب الإيضاح ، الذى حلل فيه نظريات القدماء وشرحها ، وأدخل على بعضها تعديلات كنظرية أرسطو عن تكوين المعادن والفلزات كما قدم فى كتابه عن الموازين نظريته عن طبائع المعادن ، واعتبر الذهب ممثلا للحالة المثالية لتوازن الطبائع الأربع فيه لأنه أصبح المعادن على النار ، أما الفلزات الأخرى فطبائعها غير متوازنة ، وإذا متعادلت هذه الطبائع فى واحد منها أمكن تحويله إلى ذهب أبريز ،

ومما يذكر أن نظرية جابر بن حيان عن تكوين الفلزات ظل يعمل بها هي القرن الثامن عشر الميلادي .

من جهة أخرى توصل ابن حيان إلى تحضير كثير من المواد الكيميائية ، ومعرفة خواصها مثل نترات الفضة وحمض الخليك المركز وغيرها ، كما ربط بين الكيمياء والطب ، ووضع في ذلك كتابه " السموم ودفع مضارها " . وقد ترجمت معظم مؤلفات جابر بن حيان إلى اللغة اللاتينية ، وكان لها تأثيرها الكبير على ازدهار العلوم في أوروبا عصر النهضة .

ويرى كثير من العلماء أن أبا بكر الرازي يعتبر من أهم مؤسسي علم الكيمياء الحديثة في الشرق والغرب ، ومن أهم مؤلفاته " كتاب الأسرار " الذي سار فيه على منهج أستاذه ابن حيان ، وقد عرف في كتابه العقاقير وأنواعها الترابية ، والنباتية ، والحيوانية ، وكذا الآلات ومعرفة التدابير - أي التجارب المعملية المختلفة ، كما وصف مواد العقاقير وطرق تنقيتها ومعرفة الجيد والردى منها وترصل إلى كشف العديد من المركبات مثل حمض الكبريتيك ، وأطلق عليه اسم " زيت الزاج الأخضر " ، كما ربط الرازي بين الكيمياء والطب والصيدلة ، وقام بتحضير الكحول من المواد السكرية والنشوية المتخمرة ، واستخدامه في تحضير بعض الأدوية .

وقد ترجمت كتب الرازي إلى اللغات الأوروبية ، ولعبت مع كتب أستاذه ابن حيان دورا هاما في ازدهار علوم الكيمياء والطب في عصر النهضة الأوروبية.

ومن العلماء المسلمين الذين اسهموا في علم الكيمياء أبو الريحان البيروني ، ويعد كتابه الشهير " الجماهر في معرفة الجواهر " من أهم المؤلفات الكيميائية التي وضعها العلماء المسلمون لما ضمه من معلومات قيمة عن المعادن والبلورات والكيمياء ، وماساده من منهج علمي يعتمد على دقة الملاحظة ، والتكر المنظم ، والتجارب العملية ، ومما يذكر للبيروني قوله المبكر بأن النحاس الذي يوجد

بالطبيعة لا يكاد يخلو من ذهب ، حيث أثبتت التحاليل الدقيقة الحديثة صدق هذه المقولة .

ومن علماء الكيمياء المسلمين أيضا نذكر " الأنطاكي " الذى اشتهر " بتذكرة أولى الألباب والجامع للعجب العجائب " الذى أوضح فيه كيفية حفظ الأدوية واستخراجها ، فضلا عن ترتيبه أسماء الأدوية حسب الحروف الأبجدية .

#### (٨) الصيدلة :

اتخذ أطباء المسلمين وصيادلتهم منهجا علميا سليما فى ممارسة فن الصيدلة والتأليف فيه ، ويعتمد منهجهم على التجربة والمشاهدة مما جعل مؤلفاتهم تحظى باهتمام علماء الشرق والغرب على السواء ، وجاءت مؤلفاتهم فى الصيدلة مبكرة ، حيث يعود أقدمها إلى القرن الثالث الهجرى (٩م) عندما وضع حنين بن اسحق كتابا فى تدبير الناقهين ، وآخر فى الأدوية المسهلة والأغذية بينما وضع حنا بن ماسوية كتابا عن الأغذية .

وعندما نضجت العلوم والمعارف لدى العرب والمسلمين وضعوا مؤلفات أكثر تخصصا ودقة من أشهرها كتاب منافع الأغذية لأبى بكر الرازى، ويتكون من تسعة عشر بابا تبحث فى منافع الأطعمة والأشربة ومضارها ، وله كتب أخرى تبحث فى الأدوية وألوانها وخصائصها مثل كتاب سر الأسرار، وكتاب المرشد ، وصيدلة الطب ، والحاوى .

كما خصص على بن العباس المجوسى الجزء الثانى من كتابه كامل الصناعة الطبية للدواء وطرق العلاج وتقييم كل دواء ، ووضع الزهراوى كتابه " التعريف " للحديث عن أنواع الدواء وخصائصها وأسمائها ، والمركب منها والمفرد.

ويمكن القول أن جهود علماء المسلمين فى مجال الصيدلة وعلومها كان لها أثرها فى اكتشاف العديد من العقاقير التى لاتزال تحتفظ بأسمائها العربية فى اللغات الأجنبية حتى الآن مثل الحناء والحنظل والكافور والكركم والكمون وغيرها ، كما



يعزى لهم فضل تغليف بعض الأدوية بغلاف من السكر أو عصير الفاكهة حتى يستسيغها المرضى ، وفضل تنظيم مهنة الصيدلة وإخضاعها لإشراف نظام الحسبة حماية للأدوية من الغش وتنظيمًا للتجار فيها .

#### (٩) الفيزياء :

هو أحد فروع العلوم الطبيعية ، وقد عرفها الفارابي بأنها تنظر في الأجسام الطبيعية ، في حين عرفها ابن خلدون بأنها تبحث عن الجسم وما يلحقه من سكون وحركة ، ويظهر دور علماء المسلمين في حفظ التراث اليوناني في علوم الفيزياء بترجمته إلى العربية وشرحه وتهذيبه والإضافة إليه بما أجروه من بحوث وتجارب . ومن أهم العلوم الفيزيائية التي أسهم علماء المسلمين فيها علوم الميكانيكا ويعد ابن سينا من أشهر علمائها وبخاصة في مؤلفه الشفاء الذي حدد فيه عناصر الحركة في الجسم المتحرك ، كما يعد كتاب المعتبر في الحكمة لابن ملكا البغدادي الذي عرف فيه الحركة المكانية والحركة الوضعية . كما يعتبر البيروني والخازن والهمذاني والإمام الرازي من أشهر علماء المسلمين الذين فهموا تأثير الجاذبية فهما صحيحا .

أما علوم البصريات فقد أسهم فيها نفر غير قليل من علماء المسلمين من أمثال ابن الهيثم الذي أحاط بأبحاث السابقين وصاغها بعد تصحيحها ، وأضاف إليها وجعلها علما متكاملًا تتردد مصطلحاته في جميع لغات العالم من خلال كتابه الشهير " المناظر " الذي ترجم إلى اللغة اللاتينية سنة ١٥٧٢م ويضم سبع مقالات كبيرة (فصول) .

كما اهتم علماء المسلمين بدراسة خواص المواد الصلبة والسائلة وحرق تعيينها كخواص اللزوجة والوزن النوعي ، ومن أشهر العلماء المسلمين في هذا المجال ابن سينا ، وهبة الله البغدادي في كتابه " المعتبر في الحكمة " وابن المرزبان في كتابه " التحصيل " عن أصول الصوت .

## (١٠) علوم النبات والحيوان :

لم يترك علماء المسلمين علوم النبات والحيوان دون إسهام ملحوظ ، ومن أشهرهم الدينورى الذى وضع كتابا عن النبات يعد دليلا مفصلا لأسماء النبات وخصائصها ، ويقع فى ستة أجزاء جمع فيها كل ما ورد عن النبات فى المؤلفات العربية حتى نهاية القرن الثالث الهجرى ((٩م)) ورتب فيه أسماء النبات على حروف المعجم ، وصنف أنواع النبات وفصائله ، وبلغ من أهمية هذا الكتاب أن جميع كتب النبات والصيدلة أخذت عنه الكثير من المعلومات عن النباتات المختلفة وأنواعها وخصائص كل منها .

ولا يقل ابن البيطار شهرة وإسهاما فى مجال علوم النبات عن الدينورى ، وقد تركزت دراساته على الأعشاب والنباتات وجمعها وتصنيفها على أسس علمية محددة .

ومنهم أيضا القزوينى صاحب كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات الذى وصف فيه أنواع النبات والخضر والفاكهة والأزهار ، وابن وحشية الذى تجاوز فى دراسته وصف النبات وتصنيفه إلى البحث فيما يصلح الأرض والزرع والشجر ، وكيفية علاج أمراضها ، كما اشتهر الدميرى بكتابه عن الحيوان ، ويقع فى جزئين ، ورتب فيه أسماء الحيوانات ترتيبا أبجديا حسب أنواعها البرية والبحرية ، وكذا أسماء الطيور والحشرات ، كما تجدر الإشارة إلى الجاحظ صاحب كتاب الحيوان الذى يعتبر من أشهر المؤلفات العربية ، ويقع فى سبعة أجزاء ، ويقسم الجاحظ فيه الحيوان إلى فصيح وهو الإنسان ، وأعجم وهو الحيوان ، ثم يفيض فى ذكر تفاصيل أنواع الحيوان ، كما درس ابن سينا نماذج عديدة من الحيوانات والطيور وصنفها إلى أنواع مائية وبرية وبرمائية ، وذلك فى كتاب الشفاء ، ويقع فى ثمانية وعشرين جزءا بينها فصول فى المنطق والفلسفة والطبيعات ، وفى الأخير يشرح ابن سينا علوم الحيوان والنبات ، ويذكر كثيرا من الآراء والنظريات حول أجناس النبات وأحوالها وغذائها وتحدث عن الثمار والأشواك والنباتات الساحلية والسبخية والرملية والمائية والجبلية ، والدائمة الخضرة وتلك التى تسقط أوراقها فى مواسم معينة ، كما تناول ابن سينا بالشرح

أنواع الحيوانات المائية والبرية وأعضائها وعضلاتها وشرائبيها وأليافها ، واهتم  
ككاتب بتفصيل أجسادها وتسجيل ملاحظاته عن أجهزتها العضلية والهضمية  
والتناسلية والتفسيية كما أشار في دراساته عن النيات والحيوان إلى ما يستخلص  
منها من عقاير وأدوية وكيفية الاستفادة منها في مجالي الطب والصيدلة .

#### (١١) علم الزراعة :

أصبحت الزراعة علما له أصوله وقواعده عند علماء المسلمين ، فاهتموا  
بالتأليف في كل ما يتعلق بالزراعة من أمور كالموارد المائية ، وشق القنوات وبناء  
الخرانات اللازمة للرى ، وذلك لما تمثله المياه من أهمية قصوى للزراعة ، وعلى  
سبيل المثال وصف ابن حوقل في كتابه المسالك والممالك أنهار البصرة ، وقنوات  
السند ، وما يقوم حولها من خضرة ، كما تناول الهمداني في كتابه صفة جزيرة  
العرب أقطار الجزيرة العربية وكيفية جمعها في برك صغيرة وخرانات لاستخدامها  
في الزراعة ، وقد أشار المقدسي - مثلا - إلى أخذ مشروعات الرى في إقليم فارس .

كما احتل موضوع المحاصيل الزراعية موضعا ملحوظا من اهتمام كثير من  
علماء المسلمين ، فأشاروا إلى الفواكه والخضر المختلفة وأسمائها وأنواعها  
وخصائصها ، والبلاد التي تجود فيها ، والموانئ البحرية والنهرية التي تنتقل بينها  
المحاصيل .

كما وضع نفر من علماء المسلمين عدة مؤلفات في الزراعة باعتبارها علما  
من العلوم ، أشهرها كتاب الفلاحة النبطية لأبي بكر أحمد بن وحشية ( قرن ٣هـ / ٩م )  
ويعتبر من الكتب الرائدة في مجال الزراعة التي لا يستغنى عنها الدراسون المحدثون  
وذلك لما تضمنه أبوابه العديدة وصفحاته الستمائة من موضوعات تبحث في خواص  
المحاصيل ، وكيفية الحصول على المياه اللازمة للزراعة ، واختلاف طبائع المياه ،  
وطرق الزراعة والرى ومواقيت الزراعة المناسبة ، ويختتم الكتاب بالحديث عن  
طرق إصلاح الأرضى ، والزراعات الميئة .

مؤلفات الشهيرة أيضا كتاب الفلاحة الأندلسية لمؤلفه أبى زكريا محمد بن العوام الأشبيلي ويعد موسوعة زراعية كاملة أمدا بها القرن السادس الهجرى (١٢ م) ويتكوّن من أربعة وثلاثين فصلا خصصت لموضوعات الزراعة وما يتعلق بها فيما عدا الفصول الأربعة الأخيرة منها فقد خصصت لموضوعات تربية الماشية ، وتدل مادة الكتاب على اعتماد مؤلفها على التجربة والممارسة ، فضلا عن حرص المؤلف على إثبات المصادر المكتوبة التى اعتمد عليها فى تأليفه ، فكان الكتاب جمع بين المادة الموثقة بمصادرها والمادة المستخلصة من تجارب مؤلفه .

#### (١٢) علم الفلك :

اهتم علماء المسلمين بعلوم الفلك قدر اهتمامهم ببناء المراصد ، واختراع الآلات والأدوات اللازمة للرصد وتطويرها كالاسطرلاب لتحديد الارتفاعات ومعرفة الزمن ، والمزولة الشمسية والساعة المائية لمعرفة الوقت وضبطه وتحديد بيت الصلاة ، ووصلتنا أسماء عدد كبير من العلماء العرب والمسلمين الذين زاولوا أعمال الفلك وتجاريه و وضعوا مؤلفات فى ذلك ، من أمثال على بن عيسى الاسطرلابى الذى تعود إليه قدم رسالة فى الاسطرلاب ، والخوارزمى الذى وضع كتابه دقيقا ثم نقله بعد عهده إلى اللاتينية ، والفرغانى الذى قام بعمل مقياس للنيل بالفسطاط تلبية لطلب الخليفة العباسى المتوكل سنة ٢٤٦ هـ (٨٦١ م) وإليه أيضا يعود نصل تأليف كتاب " المدخل إلى علم هيئة الأفلاك " الذى تم نقله إلى اللغتين العبرية واللاتينية لأهميته ، ومنهم أيضا عبد الرحمن الصوفى المنوفى سنة ٣٥٧ هـ صاحب كتاب الكواكب الثابتة ، ويبحث فى الرصد الفلكى وجمع فيه مؤلفه أكثر من ألف نجم وزوده بالخرائط والرسوم التوضيحية .

وفى القرن الخامس الهجرى (١١ م) ظهر كتاب الزيج الحاكمى الكبير الذى جمعه الفلكى ابن يونس ، واستعمله الفلكى الفرنسى الشهير لابلاس فى تحديد ميل دائرة البروج ، وبحث الامارات بين المشتري وزحل ، كما استخدمه الفلكى

الأمريكي سيمون نيوكومب فى بحوثه عن حركات الشمس والقمر ، كما اهتم الفلكيون المسلمون بحركة القمر ، واكتشف البوزجاني معادلة لتقويم مواقع القمر عرفت بمعادلة السرعة ، كما عالج البيروني فى كتابه القانون عدة موضوعات فلكية كتعيين الجهات الأصلية بسبع طرق مختلفة ، وتحديد الوقت ليلا ونهارا ، ومعرفة فصول السنة بواسطة الرصد ، وشرح ظاهرة المد والجزر وتفسير ظاهرة كسوف الشمس وخسوف القمر ، ورصد العلامة ابن رشد ظاهرة البقع الشمسية وأسبابها ، ومظاهرها وتأثيراتها ، كما توصل إخوان الصفا إلى معلومات هامة عن الغلاف الغازى المحيط بالأرض ، وعرفوا ظاهرة التساقط عندما تبرد كتلة هوائية وتتكاثف كمية من بخار الماء فى صورة مطر أو ثلج أو ضباب مائى أو ندى ، كما فسروا ظاهرة المطر ، وشرح ابن سينا ظواهر السحب ، والثلوج ، والضباب ، والنيازك ، والرعد والبرق ، والهالة القمرية ، والهالة الشمسية .

وقد تطور علم الفلك والأرصاد على أيدي علماء المسلمين باستخدامهم المنهج التجريبي الذى يستند إلى الأرصاد والحساب فى تفسير الظواهر الفلكية ، وتعليل حركة النجوم والكواكب مما كان له أكبر الأثر فيما تجنيه البشرية حاليا من معارف الفضاء وعلومه .

وقد أشاد بهذا الدور مؤرخ العلم سارتون عندما شهد لبحوث العلماء العرب والمسلمين بأنها مهدت الطريق للنهضة العلمية الكبرى فى أوروبا القرن العشرين .

### (١٣) علوم الرياضيات :

أسهم علماء المسلمين فى مجال الرياضيات وعلومها ويرجع اهتمامهم بهذه العلوم إلى حرص المسلمين على تنفيذ أحكام الشريعة الإسلامية ، وأداء العبادات ، وتوزيع الغنائم والميراث والصدقات بالعدل ، فضلا عن أهمية العد والحساب فى معرفة عدد الأيام والشهور والسنين وأجال الداء والمعاملات المالية وغيرها - مما يحتاج إليه الناس فى حياتهم .

ويعتبر الخوارزمي من أشهر علماء الرياضيات المسلمين حيث يعود إليه فضل استخدام الأرقام التي اقتبسها الأوروبيون بعد ذلك واستخدموها — فساعد هذا على تطوير العمليات الحسابية ، ويعد كتابه في الحساب من أقدم المؤلفات في الرياضيات ، وكذا كتابه في حساب الجبر والمقابلة الذي وضع فيه أصول علم الحبر وقواعده ، ومنهم أيضا البيروني ، والحسن بن الهيثم ، ولكل منهما مؤلفاته في علوم الرياضيات .

وبالإضافة إلى هذا ينسب إلى بعض علماء المسلمين نظريات رياضية متميزة ، كنظرية الأعداد المتحابية ، وفيها يكون العددان متحابين إذا كان مجموع قواسم كل منهما مساويا للعدد الآخر ، فعلى سبيل المثال : العددان ٢٢٠ ، ٢٨٤ متحابان ، لأن مجموع قواسم العدد ٢٢٠ وهي :

١ ، ٢ ، ٤ ، ٥ ، ١٠ ، ١١ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٤٤ ، ٥٥ ، ١١٠ تساوي ٢٨٤ .

كما أن مجموع قواسم العدد ٢٨٤ وهي :

١ ، ٢ ، ٤ ، ٧١ ، ١٤٢ تساوي ٢٢٠ .

وكذا نظرية الخطأين لإيجاد جذر المعادلة  $أس + ب = صفر$  ، ونظرية ذات الحدين وغيرها .

#### (١٤) معاهد العلم ومؤسساته :

ارتبطت نهضة العلوم والآداب كمظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية الهامة بإنشاء العديد من المؤسسات التعليمية التي خدمت طلاب العلم وشيوخه ، وحرص حكام المسلمين في كل العصور الإسلامية على إنشاء المؤسسات التعليمية تقريبا لله تعالى وخدمته : للدين وعلومه من جهة ، وتخليذا لأسمائهم وأعمالهم من جهة أخرى ، ويعتبر المسجد المؤسسة الأولى والأساسية التي استخدمت كمعهد للعلم حيث كانت تعقد بالمساجد حلقات الدرس بدءا من مسجد النبي عليه الصلاة والسلام بالمدينة ، وسارت على نفس النهج الولايات والأقاليم المختلفة من عالم الإسلام كمسجد عمرو بن العاص بالفسطاط ، ومسجد عقبه بن نافع بالقيروان ، ومسجد أحمد بن طه لون بالقطنع ، والجامع الأزهر بالقاهرة وغيرها ، ولهذا اهتم منشئو

المساجد من حكام أو محكومين بتوسعتها وتأثيثها وتعيين المدرسين والخدم بها لتقوم بوظيفتها التعليمية إلى جانب وظيفتها الدينية خير قيام ، ويقدر ما كان هذا الاهتمام هدفاً في حد ذاته ، ساعد في الوقت نفسه على ظهور الأوقاف وحبسها وحبس ريعها أى تخصيصه ووقفه على الإنفاق على المساجد ورعايتها والعاملين فيها .

وإلى جانب المساجد أنشئت دور الحكمة أو بيوت الحكم وكانت أشبه ماتكون بدور الكتب حيث كانت تضم عدداً من المدرسين والعلماء والنساخين والمترجمين بالإضافة إلى الأعداد الضخمة من الكتب التى تحفظ بمكتباتها ، وقد لعبت بيوت الحكمة دوراً تعليمياً هاماً فى المجتمع الإسلامى ، وربما كان أول بيت للحكمة هو الذى أسسته الدولة العباسية فى بغداد فى عهد الخليفة المنصور ، والذى بلغ أوج تطوره وازدهاره فى عهد الخليفة المأمون بمكتبته الزاخرة وأجهزته العلمية التى كانت تخدم مرصده ، وعلمائه وطلابه الذين كانوا يفدون إليه من سائر أقطار العالم الإسلامى .

كما كانت دار الحكمة بالقاهرة الفاطمية أشبه ماتكون بجامعة كبيرة تضم قاعات الدرس ، ومكتبة كبيرة عامرة بالكتب النفيسة - فى شتى العلوم ، وكانت تعقد بدار الحكمة حلقات الدرس العديدة لتدريس علوم الدين واللغة والأدب وغيرها ، وبلغ من أهميتها أن بعض المؤرخين يعتبر دار الحكمة فى العصر الفاطمى الجامعة الثالثة بمصر بعد جامع عمرو والجامع الأزهر .

وفى الشق الغربى من العالم الإسلامى اشتهر بيت الحكمة بالقيروان ، وكان قد أنشأه زياد الله الثالث الأغلبى فى الفترة من ٢٩٠ - ٢٩٦ هـ ، وكان يضم مكتبة ، وداراً للترجمة والتأليف ، ومعهداً لتدريس علوم الطب والصيدلة والرياضيات والفلك والنبات والموسيقى إلى جانب علوم الدين واللغة العربية .

ولعبت أسواق ومحال الوراقين دوراً تعليمياً هاماً فى عالم الإسلام ، حيث كانت بمثابة مراكز للعلم والثقافة والتأليف والنسخ والترجمة وتجويد الخطوط ، وقد

أحصى اليعقوبى عدد محال الوراقين - أو محال الوراقاة فى بغداد وحدها سنة ٢٧٨ هـ / ٨٩١ م فوجدها تزيد عن مائة محل تشتغل بالعلم والترجمة والتأليف ونسخ الكتب .

وقد شهد القرن الخامس الهجرى (١١م) تطورا هاما فى مؤسسات العلم ، حيث بدأت المدارس فى الظهور بعد زيادة انشائها لتشارك المسجد وظيفته التعليمية أو لتحل محله فى بعض الأحيان فى تدريس العلوم الدينية واللغوية والعقلية ، وأنشئت المدارس فى أول الأمر على نفقة المدرسين والشيوخ والفقهاء ، ثم أخذ انشاؤها صفة رسمية عندما أنشئت بواسطة الحكام ، وأصبح تعيين المدرسين والعاملين بها من سلطة الدولة وتحت إشراف أجهزتها ودواوينها حتى أن السلطان نفسه كان يعين المدرسين بنفسه للمدارس الهامة .

ويرتبط العصر السلجوقى بالعراق والشام وآسيا الصغرى وما يقابله بمصر بإنشاء المدارس وازدهارها ويعتبر عهد الوزير السلجوقى نظام الملك العصر الذهبى لإنشاء المدارس بالعراق وفارس خلال القرن الخامس الهجرى ومن أشهرها المدرسة النظامية فى بغداد وتعود إلى سنة ٤٥٧ هـ وكان يدرس بها مشاهير العلماء المسلمين ومدرسة أبى حنيفة ببغداد أيضا وتعود إلى سنة ٤٥٩ هـ ، وغيرها .

وقد ورث الأتابكة بالشام والأيوبيون بمصر عن السلاجقة الاهتمام بإنشاء المدارس وتأثيثها وتعيين المدرسين والخدم بها وقد بلغ عدد المدارس التى أنشئت فى العصر الأيوبي بمصر أكثر من خمس وعشرين مدرسة ، ومن أشهر مدارسهم المدرسة الناصرية للشافعية ، والمدرسة القمحية للمالكية والمدرسة السيوفية للحنفية ، والمدرسة القفيلية (٥٧٠هـ) والمدرسة الأرسوفية والمدرسة الصلاحية وغيرها ، بجوار ضريرج الإنجليز الشافعي بالقاهرة (٥٧٣هـ) ويحصى إنشاء عدد كبير من المدارس فى هذه الفترة إلى رغبة السلاجقة والأيوبيين فى طمس المذهب الشيعى وعلومه التى كانت شائعة بمصر والشام طوال العصر الفاطمى (٣٥٨-٥٦٧ هـ) ونشر المذهب السنى وعلومه ، وكان الاعتماد على المدرسين الفقهاء فى التعليم بمدارس هذه الفترة ، بل أن ، حال الدار كان يختارون من بين هؤلاء



المدرسين الفقهاء ، وقد ضاعف هذا من منزلة المدرسين وأهميتهم فى العصر السلجوقى والأتابكى والأيوبرى .

وإمعانا فى الاهتمام بالمدارس وإنشائها وتعيين القائمين على التدريس بها كانت تحبس أى توقف بعض المباني والمتاجر والأرض للصرف من ريعها على المدارس والعاملين بها .

كما أضيف فى فترة تالية إلى بعض المدارس أضرحة لدفن المنشئين ومن أمثلتها المدرسة النورية بدمشق (٥٦٧هـ) التى تضم ضريحا لنور الدين محمود بن زنكى ، والمدرسة الصالحية بالقاهرة (٦٤١هـ) والتى تضم أيضا ضريحا للسلطان الصالح منشئها .

وتعتبر المدرسة المستنصرية ببغداد (٦٣١هـ/١٣٣٤م) من أشهر المدارس التى إنشئت لتدريس العلوم وفقا للمذاهب الإسلامية الأربعة ، وألحقت بها خزانه ضخمة للكتب ، وميضاه وحمامات ومطابخ وبیمارستان لعلاج الدارسين والمدرسين بالمدرسة ، كما كان يتوسطها مسجد لأداء الصلوات ، وتنوعت العلوم والمعارف التى كانت تدرس بالمدرسة المستنصرية ما بين علوم دينية ولغوية ورياضيات ، وصحه ، وطب ، وحيوان وغير ذلك .

وقد ورث سلاطين المماليك عن الأيوبيين الاهتمام بإنشاء المدارس ، وبلغ من كثرتها أن بعض السلاطين من طالت فترة حكمهم بنى أكثر من مدرسة فى عهده وتحمل اسمه كالناصر محمد بن قلاوون ، وقايتباى ، والغورى ، وبلغ عدد المدارس التى أنشئت بمصر فى عصر المماليك خمسا وأربعين مدرسة ، كما اهتم العثمانيون من بعدهم بإنشاء المدارس سواء فى حاضرة دولتهم باستانبول أو فى غيرها من المدن بآسيا الصغرى وغيرها من الأقاليم والبلدان العديدة التى حكمها الدولة العثمانية فيما بين القرنين العاشر والثانى عشر الهجريين (١٦-١٨م).

كما أنشئت مدارس عديدة فى بلدان المغرب الإسلامية والأندلس ، وعلى سبيل المثال بلغ عدد المدارس بغرناطة وحدها سبع عشرة مدرسة كبيرة وأكثر من مائة مدرسة صغيرة ، وفى عهد المرابطين والموحدين أنشئت المدارس العديدة فى

مدن سينه وطنجه وفاس وتلمسان ومراكش ، وثرطبة . برسيه وأشدينية وبالنسية  
وغيرها ، ومما يذكر أن مدارس المترب الإسانية قد تأثرت بطراز المدارس  
المصرية فيما عدا إضافة الضريح إليها .

وبالإضافة إلى المدارس أنشئت الكتاتيب في جميع الأطفال وكان لها من الشيوخ  
والكثرة ما جعلها تسهم إسهاما كبيرا في النهضة التعليمية في أكثر من بلدان العالم  
الإسلامي ، وقد ارتبطت في مصر ببناء أسبل حقة بها وذلك في عصر المماليك ،  
تأصيل الشينى شواحد يضم سيلا يعنوه كتاب . وتران سينه القاهرة تحتفظ حتى  
الآن بعدد كبير من هذه المؤسسات الخيرية والتعليمية من عصر المماليك وعصر  
العثمانيين .

### ج - المظاهر الاقتصادية للحضارة الإسلامية

#### الزراعة :

اهتم حكام المسلمين بالزراعة ، وما يخدمها من وسائل الري والمياه ،  
وأسواق لبيع المحاصيل وطرق لنقلها ، فضلا عن إقامة الصناعات اللازمة .  
وكان لاتساع العالم الإسلامي وتنوع مناخه وأرضه أن تنوعت المناطق  
الزراعية به ما بين مناطق شديدة الخصوبة كأرض الجزيرة ووادي النيل ،  
وأراضى خصبة كأرض السواد بالعراق وأراضى الشام السهلية ، وأراضى قليلة  
الخصوبة كالأقاليم الساحلية والجبلية والصحراوية .  
واستخدم الزراع في عالم الإسلام المحراث الذى ورثوه عن السلف ، وكان  
مصنوعا من سلاح حديدى وقلاب ، وكان الفلاح يجره بنفسه أو بواسطة دابته ،  
وأجاد الفلاحون فنون فلاحية الأرض وريها وجنى المحاصيل ثم تسويقها أو  
تصنيعها ، كما عرفوا استخدام الأسمدة ، ومقاومة الحشائش والآفات الضارة  
بالزراعة .

واعتنت الحكومات الإسلامية بتوفير المياه اللازمة للزراعة بشق الترع والمصارف وإقامة الجسور كما فى مصر الفاطمية حيث عرفت الجسور السلطانية التى كانت تقيمها الدولة والجسور البلدية التى كان يقيمها الفلاحون، كما حفرت القنوات لصرف للمياه إلى مسافات بعيدة ، كما حفر المسلمون فى بعض المناطق الجبلية مجار مائية تحت الأرض لنقل المياه من سفوح الجبال إلى الأراضى المستوية الصالحة للزراعة ، واستغلوا المنحدرات إستغلالاً نافعاً بتسخير المياه المنحدرة فى الزراعة ، ومن جهة أخرى عرف العرب والمسلمون كيفية التخلص من الماء الراكد ومن رواسب الفياضانات ومخلفاتها، وتجفيف البرك والمستنقعات والعمل على إزالتها ، كما نجحوا أحياناً فى بناء القرى والجسور التى يدمرها الفيضان هنا أو هناك ، وبلغ من اهتمام الخلفاء العباسيين بالرى وتدبير المياه اللازمة للزراعة أن خصصوا أحد دواوين الدولة للرى عرف بديوان الماء كان يشرف عليه موظف كبير يعاونه عدة آلاف من العمال ، كما حرص بعض الحكام على إنشاء المقاييس لضبط وقياس ارتفاع المياه فى الأنهار المختلفة ، ومن أمثلتها مقاييس النيل بالروضة وأسوان وحلوان بمصر .

وعرفت الأقاليم الإسلامية نظام السنة الزراعية - كل حسب مناخه وفيضان أنهاره - فكانت هناك أوقات محددة لبذر البذور وسقيها وجنى محصولها ، وكان هناك ترتيب لتوالى زراعة المحاصيل المختلفة وهو المعروف حديثاً بالدورة الزراعية .

وعرف العالم الإسلامى زراعة معظم النباتات الغذائية والعطرية والمحاصيل والفواكة والخضر فيما عدا البطاطس والطماطم حيث لم يكن للعرب علم بهما - كما أجادوا زراعة البساتين بأشجار النخيل والتوت والتين والموز والكروم والبرتقال والليمون الذى اشتهرت مصر بنوع منه يقال له التفاحى كانت حلاوته تزيد عن حمضه ، كما عرفوا فن تلقيح الأشجار وغيره من فنون الزراعة والرى وتحسين الزراعات وجنى محصولها بأساليب تدر عليهم أوفر المحاصيل .

وكانت بلاد ما بين النهرين ومصر من أغنى البلدان الإسلامية بالقمح والشعير و الأرز ، كما عرف القطن وقصب السكر فى إيران والعراق والشام ومصر والأندلس والمغرب حيث زادت زراعتة فى الأخيرة فى عهد السعديين حتى إنه يقال ان السلطان أحمد المنصور الذهبى جلب الأعمدة الرخامية اللازمة لبناء قصره بمدينة مراکش من البلدان الأخرى فى مقابل كميات كبيرة من السكر الذى اشتهرت المغرب بصناعاته والعراق والشام ومصر والأندلس وزرع الكتان فى مصر وشرق العالم الإسلامى والأندلس .

كما عرفت زراعة النيلة والقوة لأعمال الصباغة ، كما اشتهرت إيران بزراعة الورد والبنفسج والياسمين ، وقامت عليها صناعة العطور المختلفة واشتهرت بلاد الشام بالتفاح ، وفلسطين بأشجار الزيتون والنارنج واليمن بكرومها ذات العناقيد الطويلة ، والأندلس بالفواكه العديدة المتميزة وبزراعة أشجار التوت ، ولم تكن الزراعة قاصرة على الحصول على محاصيل فقط للغذاء ، أو الصناعة ، وإنما عرف المسلمون استغلال مخلفات كل محصول فى صناعة منتجات مختلفة لازمة كالحصر والقلنسوات و الحقائب والسلال وغيرها من المنتجات التى تلبى حاجة الناس فى منازلهم وأعمالهم وسائر مظاهر حياتهم .

ومن الجدير بالذكر أن نظم التعليم الإسلاميه كانت تخصص مدارس للزراعة كان لها أثرها الكبير فى تنوير عقول المسلمين العاملين بالزراعة بشتى المعارف التى تخدم الزراعة وفلاحة الأرض .

كما اتبع كثير من الخلفاء العباسيين سياسة حكيمة مع الفلاحين بعدم إرهابهم بالضرائب ، وتحديد قيمتها حسبما تغله الأرض من محاصيل ، فكانوا يخفصون الضرائب عندما تقل المحاصيل لسبب من الأسباب ، وحل نظام المقاسمة محل نظام المحاسبة تيسيرا للزراع فأصبح يدفع جزء من المحصول كضريبة حسب كثرته وقلته ، بدلا من دفع ، الضريبة بحسب مساحة الأرض .

وقد شهد العصر العباسي الأول ظهور أول صورة من نظام الإقطاع الزراعي ، عندما أقطع أى أهدى ومنح الخليفة المنصور بعض أعيان دولته قطائع من الأرض ، يعمرونها ويسكنونها ، ويحصلون على ما تدره من غلات ومحاصيل ، مكافأة لهم على ما قدموه من أعمال ، وانتشر هذا النظام لنجاح الاقطاعات ، وازدهارها بالسكان فأصبحت كل قطيعة تعرف باسم ساكنها أو سكانها ، وقد تطور هذا النظام ليأخذ شكل اقطاع تهبه الدولة للمقطعين فى مقابل دفعهم مبلغ من المال لدار الخلافة .

وتبعاً للاهتمام بالزراعة اهتم المسلمون بتربية الحيوانات لاستخدامها فى أغراض الفلاحة والرعى وجنى المحصول ، فاستخدموا الأبقار والجاموس فى حرث الأرض ، كما استخدموا الخيول والحمير والجمال والكلاب فى حقولهم ، ومن جهة أخرى حاولت بعض البلدان الإسلامية فى المغرب وصقلية زراعة بعض النباتات التى تحتاج إلى بيئة حارة كالتوابل والقطن وقصب السكر والتوت لتربية دودة القز لصناعة الحرير ، ولكن لم يقدر لزراعة التوابل النجاح .

#### الصناعة :

تعددت الصناعات فى العالم الاسلامى تبعاً للحاجة إلى منتجاتها من جهة ، ولتوافر المواد اللازمة لها من جهة أخرى ، فقد توفرت معادن الذهب والفضة والزنابق فى مناطق بين نهر دجلة الأعلى وبحر قزوين ، وفى جبال زاجروس ، وتوفر الحديد فى بعض مناطق الشام ، وكانت أهم مناجم الذهب تقع فى مصر بين بلاد النوبة والبحر الأحمر فى منطقة تعرف بجبال العلاقى ، كما جاء النحاس من بلاد ما بين النهرين ، واستخرج الذهب والفضة بالأندلس من إقليم نهر تاجة ، ومنطقة قرطبة وصنعت من المعادن المختلفة قطع الأثاث والأدوات والأواني والمعدات والأسلحة ، ومن الذهب والفضة الحلى والمشغولات الدقيقة المرصعة بالأحجار الكريمة .

كما ازدهرت صناعة الأخشاب بفضل التكامل بين بلدان العالم الإسلامى بين بلاد توجد فيها الأخشاب كالشام والأناضول وأخرى تقل فيها كمصر والجزيرة العربية ، كما كانت تجلب بعض الأخشاب من خارج بلدان العالم الإسلامى كالهند والملايو وبعض البلدان الأفريقية ، وكذا العاج اللازم لأعمال التطعيم فى الخشب لتزيين منتجاته ، وصنعت من الأخشاب الأبواب والنوافذ والأسقف وقطع الأثاث المختلفة ، بالإضافة إلى المنابر والمحاريب والمقصورات ، كما تخصصت بعض دور الصناعة فى مصر والشام فى صناعة السفن من أخشاب خاصة .

كما عرف المسلمون صناعة الزجاج التى يعود أصلها إلى الفينيقيين ، وحققت تطورا كبيرا فى العصر الإسلامى بمصر والشام ، وصنعت من الزجاج المموء بالمينا المشكاوات والأكواب والقوارير ويمتلك متحف الفن الإسلامى بالقاهرة أكبر مجموعة من المشكاوات الكاملة فى العالم . وكانت أسواق العالم الخارجى تنهافت على منتجات الشرق الزجاجية المموهة أى المنقوشة بالمينا المتعددة الألوان ، كما صنعت من الزجاج النوافذ الملونة والمزخرفة بالرسوم الدقيقة ، وكانت بغداد تموج بعدد كبير من دور الصناعة ، وقيل أنها ضمت أربعة آلاف معمل لصناعة الزجاج كما عرف الشرق الإسلامى صناعة البللور الصخرى الذى يتم الحصول عليه بهينة من الطبيعة يهذب ويصنع فى هيئة قوارير صغيرة أو حلقات تزين بها المنتجات المختلفة .

وحققت صناعة الفخار والخزف نجاحا كبيرا فى عالم الإسلام ، وذلك لتوافر المواد اللازمة للصناعة ، ولعراقة هذه الصناعة ببلدان الشرق فضلا عما تلبيه منتجاتها من حاجات الناس من أنية للطعام والشراب وأدوات كالمسارج التى كانت تستخدم فى الإضاءة .

وصنع المسلمون أنواعا عديدة من الخزف المدهون وغير المدهون واشتهرت عدة مراكز بهذه الصناعة حتى أن بعضها أعطى اسمه للمنتجات الخزفية

كخزف الفيوم وخزف قاشان الذى يتمثل فى بلاطات الخزف - القاشانى - التى لا تزال تعرف وتستخدم بهذا الاسم حتى الآن .

وقد حفلت الآنية والبلاطات الخزفية بثناء زخرفى بديع لزخرفتها بالرسم النباتية والهندسية والكتابات العربية ، فضلا عن رسوم الكائنات الحية ، وبلغ من إجادة المسلمين لصناعة الخزف أنهم ابتكروا نوعا منه عرف ، بالخزف ذى البريق المعدنى - يعطى بريق الذهب والفضة مع أنه مصنوع من طين مصقول ومحروق ، ثم طلى بألوان براق ، وكان الدافع لصناعة هذا النوع من الخزف استجابة الخزاف المسلم لنداء العقيدة الإسلامية بترك استخدام الآنية الذهبية والفضية ، حتى لا يشبه المسلمون بالأكاسرة والقيصرة ، مع تبشير المسلمين بأنها ستكون للمتقين منهم فى جنات النعيم ، فاستعاض عنها الخزاف المسلم بصناعة آنية لها بريق الذهب والفضة وما هى مصنوعة منهما ، وقد انتشرت هذه الصناعة فى شرق العالم الإسلامى وفى غربه ووصلتنا من منتجاتها تحف فنية نفيسة تحتفظ بها المتاحف الفنية العالمية على هيئة أطباق وسلاطين وصوانى وأكواب وآنية مختلفة . وتعد مجموعة متحف الفن الإسلامى بالقاهرة من أكمل وأكبر ما تبقى من هذه المنتجات .

وفى مجال النسيج عرف المسلمون صناعة المنسوجات المختلفة من حرير وقطن وصوف وكتان ، ومعروف أن الملابس يمثل إحدى ضرورات الإنسان فى حياته وعند موته أيضا ، وعرفت فى عالم الإسلام دور الطراز - أى مصانع النسيج وكان منها الخاص الذى ينسج للحكام وكبار موظفى الدولة ، ودور الطراز العام التى تنسج لعامة الناس ، وتحت إشراف الدولة وموظفيها وأجاد النساجون المسلمون فن زخرفة المنسوجات بتطريزها ونسجها وطبعها وتلوينها بألوان مختلفة كما عرف الوشى المطرز بخيوط من الذهب أو الفضة كما استخدموا فى زخرفتها شتى أنواع العناصر الزخرفية من نبات وحيوان وطائر وإنسان ورسوم هندسية ، وكتابات عربية بخطوط متنوعة ، واشتهرت مدن عديدة من عالم الإسلام بما تنتجه من منسوجات حتى أن بعضها خلع اسمه أى أعطاه للمنتجات نفسها فصارت تعرف باسم المدينة التى أنتجته كالحريير الموسيلينى نسبة إلى شهرة مدينة الموصل

بإنتاجه ، والأقمشة الحريرية المشجرة التي عرفت بالدمشقي نسبة إلى مدينة دمشق، والقماش الديبقي نسبة لمدينة ديبق ، والقماش التتيسي نسبة إلى مدينة تتيس وهما من مدن دلتا مصر ، والقماش التستري نسبة إلى مدينة تستر بأقليم خوزستان .

كما اشتهر الشرق الاسلامى بصناعة السجاد والطنافس من الصوف أو الحرير ، ولا تزال هذه الشهرة قائمة حتى الآن لدرجة أن السجاد الشرقى الإيرانى أو التركى أو المصرى يحتل الصدارة فى الأسواق العالمية ، على الرغم من التقدم التكنولوجى لصناعة السجاد الأوربية حاليا .

واستخدمت فى زخرفة السجاد الإسلامى رسوم الكائنات الحية ، ورسوم البساتين والحدائق فضلا عن العناصر الزخرفية الهندسية والنباتية وكتابات الخط العربى ، كما أمدتنا صناعة السجاد الإسلامى بسجاجيد الصلاة المزودة بشكل محراب أو أكثر لتحديد جهة الصلاة نحو الكعبة الشريفة .

وبالإضافة إلى هذه الصناعات عرف المسلمون وأجادوا صناعات الورق والجلد والحجر والسلاح بنوعيه الهجومى والدفاعى ، فضلا عن صناعة السكة ، أى العملة المعدنية من دنانير ذهبية ودرهم فضية وفلوس نحاسية كانت تحمل كتابات قرآنية وعبارات دينية ، واسم الحاكم القائم فى الحكم ومكان الضرب وتاريخه ، وتحتفظ جميع المتاحف العالمية بمجموعات متفاوتة من قطع العملة الاسلامية .

وبالإضافة إلى الصناعات التطبيقية السابق ذكرها عرف المسلمون عددا من الصناعات الأخرى الغذائية كصناعة السكر والملح والخبز والزيت والدواء والعقاقير ، والصناعات المتنوعة كصناعة الصابون والشمع والكبريت ، كما عرفوا بعض الصناعات الميكانيكية كصناعة الساعات المائية والرملية والساعة الدقاقة ، والاسطرلاب الذى صنعه المسلمون لقياس حركة النجوم والكواكب وتحديد المواقع ويذكر أن هارون الرشيد كان قد أهدى إلى شارلمان ساعة تعمل بالماء وصنعت من جلد ونحاس وأسلاك من ذهب ، كما صنع المسلمون أجهزة تدار بالماء على هيئة طواحين لطحن الغلال كانت تقام على حواف البحار والأنهار .



وكان من الطبيعي أن تقوم هذه الصناعات العديدة والمتنوعة على أكتاف أعداد ضخمة وماهرة من العمال والصناع والفنانين كانت تضمهم دور الصناعة ومحالها الصغيرة والكبيرة ، وقد وصلتنا أسماء بعضهم مسجلة في هيئة توقيعات على ما صنعوه من منتجات ، وأفادتنا هذه التوقيعات فائدة كبرى في التعرف على أسمائهم وألقابهم الحرفية وألقابهم الدالة على مكانة ومنزلة كل منهم بين أبناء حرفته، كالتمليذ والصبي والصانع والمعلم والأستاذ وشيخ الصنعة وغيرها ، كما أفادتنا توقيعات الصناع على أعمالهم في التعرف على مكان الصناعة وتاريخها ، ولا تخفى علينا أهمية هذه المعلومات للمؤرخ والأثرى ولكل من يتصدى لدراسة تاريخ الصناعة في العصر الإسلامي ، خاصة وأن المصادر التاريخية والأدبية أهملت الإشارة إلى أسماء الصناع وأعمالهم ، في حين وجهت كل اهتمامها إلى طبقة الحكام وكبار الموظفين ولهذا تعتبر توقيعات الصناع على أعمالهم الفنية المصدر الوحيد للتعرف على أسمائهم وكافة المعلومات المتعلقة بهم ، ولا يعيب هذه التوقيعات إلا أنها جاءت من العصر الإسلامي المتأخر ، وبالتالي لم تصلنا أسماء الصناع من الفترات المبكرة والوسطى من العصر الإسلامي ، وإن كانت أعمالهم وصلتنا شكل منشآت معمارية أو تحف فنية منقولة .

### (٣) التجارة والنقل :

اكتسبت التجارة وطرقها أهمية قصوى في العصر الإسلامي ، ولهذا يعتبر النشاط التجاري الإسلامي أحد السمات البارزة في حضارة الاسلام ، وتأتى هذه الأهمية من وقوع عالم الاسلام في ملتقى طرق التجارة بين الشرق الأقصى وأوروبا حيث كانت تجارة أوروبا وآسيا وأفريقيا تلتقى في عالم الإسلام . وكانت طرق التجارة تسلك طريقين رئيسيين أولهما بحرى عن طريق بلاد الهند بينما عرف الآخر بطريق الحرير وهو طريق برى يربط بين الصين وأوروبا مارا بسمرقند وبخارى في إقليم التركستان والرى وهمذان بفارس وبغداد بالعراق حيث يتفرع عندها إلى طريقين فرعيين يتجه أحدهما عبر نهر الفرات وبحر الروم (البحر المتوسط) إلى القسطنطينية عاصمة الدولة البيزنطية ، ويتجه الآخر عبر

الكوفة ومكة والمدينة إلى بقية الجزيرة العربية وأفريقيا ، وقد عرف هذا الطريق بطريق الحرير - لأن تجارة الحرير كانت من أكثر السلع تداولاً حيث كان يجلب من الصين مع بعض الآنية الصينية في مقابل ما تنتجه أقاليم الدولة البيزنطية ، والعالم الإسلامي .

ومن السلع الهامة الأخرى التي كانت تجلب إلى الشرق الإسلامي العاج والذهب والتوابل من أفريقيا ، والحديد والصلب والقصدير من الهند ، وخشب البناء والأصباغ من الملايو ، بينما كان المسلمون يصدرون إلى الصين الحلى والجواهر والنحاس والزجاج والمنسوجات القطنية والعطور والخيول والكافور الذي كانت تنهافت عليه أسواق الصين .

وفي القرن الثالث الهجري وضع ابن خردادبة دليلاً للمسافرين وصف فيه الطريق البحري من ميناء الأبله على نهر دجلة إلى موانئ الهند والصين . وكانت هناك طرق أخرى نشطة للتجارة عبر بحر الروم بين مصر والشام من جهة وبلدان القارة الأفريقية والأندلس وصقلية من جهة أخرى ، وفي بعض الأحيان كانت السلع المصرية والشلمية تصل إلى اليونان وإيطاليا وفرنسا .

وكان من نتائج النشاط التجاري الكبير عبر بلدان عالم الإسلام وبحاره أن برزت عدة موانئ ومدن اشتهرت بأسواقها الكبيرة وتجاريتها الرانجة مثل أنطاكية التي حصنها الخليفة العباسي المعتصم وكانت همزة وصل بين تجارة الشرق والغرب ، وعدن عند مدخل بحر القلزم (البحر الأحمر) ، وبغداد التي كانت الصنادل والمراتب للكترتة تكاد تتلاصق في مينائها « والبصرة التي كانت تجرى في منطقتها أكثر من مائة ألف فقة أو مجرى مائى عير أشجار النخيل والغاب ، وتزدحم بحوالى ثلاثين ألف مركب في العصر العباسى . وكانت جدة ميناء لمكة ، والقلزم ميناء لمصر وسوريا ، بالإضافة للإسكندرية ودمياط التي بلغت شهرة كبيرة في بناء السفن في العصر الفاطمى وكذا في صناعة النسيج وتصديره . كما ازدهمت المدن الداخلية الكبيرة بالأسواق الضخمة والسلع العديدة مثل دمشق لوقوعها على الطريق الرئيسى لقوافل الحجاج وحلب والقاهرة وأصبهان

وهناك طرق عديدة للقوافل البرية تربط المدن الكبيرة ، حيث كانت السلع تنقل عبرها بواسطة الجمال والبغال ، وبلغ عدد الجمال التي كانت تجوب طرق القوافل البرية الإسلامية أكثر من خمسة آلاف جمل ولها محطات أو وكالات على الطرق تستريح فيها القوافل حيث أحواض المياه والحانات الرحبة التي يقصدها تجار القوافل ، وقد وصلتنا علامات طرق وإشارات مما كان منتشرًا على طول الطرق ، تدل المسافرين وتوضح لهم معالم الطريق ، وأفادت منها أيضا قوافل الحجاج سواء في زيارتها للجزيرة العربية أو لبيت المقدس والشام .

وإذا عدنا إلى التجارة البحرية للتعرف على وسائل نقلها نجد أن المسلمين استخدموا نوعين من السفن سريعة وخفيفة لنقل المسافرين وحدهم ، وسفن ضخمة لنقل البضائع ، وكانت السفن تجهز بالمعدات والآلات اللازمة كالمجسات والاسطرلابات ، والمصابيح البحرية ، والخرائط التي توضح تيارات المياه والمد والجزر ، وخيوط من الرصاص لتحديد عمق المياه في البحار أما السفن المخصصة للملاحة النهرية فكانت عبارة عن زوارق طويلة سريعة ، وصنادل كبيرة للبضائع ، وقوارب مخصصة للركاب .

واهتم حكام المسلمين بإقامة الثغور وإعدادها لاستقبال السفن المختلفة ، وتزويدها بالمناثر ، وخصصوا الأساطيل الحربية لحماية الثغور وسفن التجارة من قرصنة البحر مما أدى إلى ازدياد النشاط التجاري ، ومن جهة أخرى ذاعت شهرة الأسواق في البلدان الإسلامية المختلفة ، ومما يذكر أن كل طائفة من التجار كانت تتخذ لها سوقا لبيع سلعتها فكانت هناك أسواق للنحاسين والشماعين والبرازين والفحامين وغيرها ، وبعض الأسواق كانت تقام في أيام معينة من الأسبوع ، ويشرف على كل سوق المحتسب أو من ينوبه من النقباء والأمناء ، وكانت العملة المستخدمة في أسواق الإسلامية الدينار وهو من ذهب ، والدرهم وهو من فضة ، والفلس وهو من نحاس .

## **الفصل الثالث**

# **إنشاء المدن**

ارتبطت حركة الفتوح الإسلامية ونشر الإسلام فى القرنين الأول والثانى الهجريين بإنشاء عدد كبير من المدن فى شرق العالم الإسلامى ، وفى غربه ، واهتم حكام المسلمين بحركة الإنشاء والتعمير ، فعمروا هذه المدن بالقصور والدور والحدائق والأسواق وغيرها من المرافق التى تخدم سكانها ، فضلا عن احاطتها بأسوار وأبراج لحمايتها وتحصينها ، وبلغ عدد المدن الجديدة التى أسست حتى نهاية العصر الأموى نحو خمس وعشرين مدينة كالبصرة والكوفة بالعراق ، والفسطاط فى مصر ، والقيروان بشمال أفريقيا ، كما شهد العصر العباسى إنشاء عدد آخر من المدن الجديدة كبغداد وسامرا فى العراق ، والعسكر والقطائع بمصر ، وسوسة وقاس ببلاد المغرب ، وغيرها بالإضافة إلى ما شهدته المدن القديمة القائمة من اتساع وزيادة فى عمرانها كمكة والمدينة ودمشق وحلب وغيرها .

ونشير فيما يلى : على سبيل المثال - إلى بعض المدن التى يعود انشاؤها إلى العصر الإسلامى .

#### (١) الفسطاط :

أسسها عمرو بن العاص كعاصمة لمصر الإسلامية سنة ٢١ هـ (٦٤١ م) فى موقع بابلون القديمة وتعتبر أول مدينة تنشأ فى الإسلام بمصر وفى قارة أفريقيا كلها ، وانتار عمرو موقعها المتوسط بين وادى النيل ودلتاه وهو الموقع الذى لا يزال موقعا لعاصمة مصر حتى الآن ، وكان يحدها من الشرق صحراء مصر الشرقية وتلال جبل المقطم ، ومن الغرب مجرى نهر النيل ، ومن الجنوب مدن مصر وقراها بالصعيد ، أما الضلع الشمالى فكان مفتوحا ، ولذلك اتسع هذا الضلع لزيادة مساحة المدينة ، كما شهد الضلع نفسه انشاء العواصم التالية لمصر الإسلامية ، وهى العسكر والقطائع والقاهرة ، وكان من عادة المسلمين عند إنشائهم مدينة جديدة أن يتوسطها مسجد جامع كبير تنتشر وتتوزع من حوله مرافق المدينة وبيوتها ، وهكذا أسس عمرو بن العاص مسجد الفسطاط ، أو الجامع العتيق فى وسط الفسطاط ، والذى عرف بعد عهده باسمه ، وكان مسجدا متواضعا لا تزيد

مساحته عند انشائه عن خمسة وعشرين مترا فى الطول ، وخمسة عشر مترا فى العرض ، وبنى إلى جواره دار الإمارة ، أو دار عمرو ، وتوالت على جامع عمرو بن العاص على طول التاريخ منذ إنشائه وحتى الآن الإضافات ، والتحسينات حتى أصبح المسجد الحالى لا يمت بصلة للمسجد العتيق إلا فى الموقع الذى يقوم فيه ، وإن كانت الزيادات والمساحات التى أضيفت إليه لم تفقده التصميم الأول الذى اتخذته المسجد وهو التصميم المكون من صحن - أو فناء أوسط مكشوف - أى غير مسقف - تحيط به أربعة أروقة - أى مساحات مسقوفة - من الجهات الأربع - أكبرها وأعماها رواق القبلة الذى يضم المحراب والمنبر ، ومن الجدير بالذكر أن هذا التصميم مأخوذ من شكل مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بالمدينة الذى اتخذته القادة والفاطون والأمراء فى البلدان المختلفة نموذجا لانشاء المساجد فى ولاياتهم على نمطه .

كما ازدحمت الفسطاط بالدور والأسواق والحمامات والحدائق ، واتخذت كل قبيلة من القبائل العربية المصاحبة للفتح ، أو الوافدة من بعده إلى مصر - اتخذت لنفسها خطة - أى حيا من خطط المدينة - أى أحيائها ، - كان يعرف باسم القبيلة ، كخطة تجيب ، وخطة خولان ، وخطة الفارسيين ، وخطة أهل الراية وغيرها ، كما عرفت بعض الدور بأسماء أصحابها من رجال الفتح والصحاب ، كدار الزبير بن العوام ، وكانت دور الفسطاط متسعة ومبنية بالطوب أو الحجر ، وتنتشر من حول المسجد فيما عدا الجهة الغربية التى كان يحدها مجرى نهر النيل ، ولكن بازدياد انحسار النهار واتساع الأراضى التى خلفها انحساره بمرور الوقت انتشر العمران فوق هذه الأراضى حتى بلغ إلى المساحة التى تمثلها الآن أحياء مصر القديمة والمنيل والروضة ، والزمالك وغيرها من أراضى طرح النهر وظلت الفسطاط عامرة بالسكان والأسواق والصناع معظم عهود العصر الإسلامى ، ولم يؤثر انشاء العواصم الثلاث التالية على عمرانها ، ولأن كانت بعض الأحداث السياسية قد أدت إلى حرقها أكثر من مرة .

ولا تزال بقايا مدينة الفسطاط قائمة حتى الآن يتوسطها مسجد عمرو بن العاص وبقايا من بيوت المدينة القديمة ، كما أن الحفائر الأثرية التي أجريت ولا تزال تجرى بالفسطاط أمدتتا بالعديد من الآثار المعمارية والفنية من منتجات الفنون والصناعات المختلفة التي تعود إلى الفسطاط في عهد الإنشاء أو إلى العهود التالية :

## (٢) بغداد

رأى الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور أن يؤسس مدينة جديدة تكون عاصمة للدولة العباسية ، بعد أن أقام هو وسلفه أخوة الخليفة السفاح بالكوفة ثم في الهاشمية ، واختار المنصور لمدينته الجديدة موقعا متميزا بطيب الهواء وخصب التربة ، وتوسط الموقع بين طرق التجارة الرئيسية ، فضلا عن قرب الموقع من الأجزاء الشرقية من الدولة حيث العنصر الفارسي الذي ساعد العباسيين في مرحلة الدعوة ، وعند قيام الدولة .

وشارك في بناء العاصمة الجديدة عمال وفنيون من شتى أنحاء الدولة الإسلامية التي كانت قد بلغت أقصى اتساع لها في ذلك الوقت ، وكان الخليفة المنصور يشرف بنفسه على البناء الذي بدأ سنة ١٤٥ هـ وانتهى سنة ١٤٧ هـ واتخذت بغداد تخطيطا مستديرا حتى أنها وصفت بالمدينة المدورة ، وبلغ محيط دائرتها ستة عشر ألف ذراعا ، وبلغ طول قطرها خمسة آلاف ومائة ذراعا تقريبا ، وأحيطت المدينة بسورين سميكن يقع إلى خارجها خندق عميق بلغ عرضه أحد عشر ذراعاً وذلك إمعانا في تحصين المدينة الجديدة ، وكان لها أربعة أبواب رئيسية هي باب الكوفة ، وباب البصرة ، وباب الشام ، وباب خراسان ، وكان كل واحد منها يواجه من حيث الموقع الإقليم الذي يحمل اسمه .

وكان يتوسط المدينة المسجد الجامع ويحف به قصر الخليفة الذي عرف بقصر الذهب ، وانتشرت حول مركز المدينة المدورة القصور والدور ومقار الدواوين والحدائق والأسواق ومساكن أبناء الخليفة المنصور الصغار، ومطبخ ،

كبير ، أما مساكن عامة الناس فأنشئت فى المساحات الأربع المحصورة بين الأبواب الأربعة الرئيسية للمدينة ، ثم امتد العمران إلى أطراف المدينة وخارج أسوارها على جانبي نهر دجلة .

وقد استخدم فى بناء بغداد الطوب اللبن والأجر (الطوب المحروق) وعيدان القصب المرصوفة فى مجموعات بين مداميك البناء .

وظلت بغداد عامرة مزدهرة طوال العصر العباسى - منذ إنشائها وحتى تخريبها على يد المغول [ ١٤٥ - ٦٥٦ هـ ] وازدهمت بالوافدين عليها من السفراء وطلاب العلم وشيوخه ، وتفوقت حضارة بغداد على حضارة المدن والبلدان المعاصرة لها ، وحرص الخلفاء العباسيون على إضفاء طابع الأبهة والفخامة على عاصمتهم وما تضمنه من منشآت ، وتنافسوا فى تأثيثها بأفخر منتجات الفنون والصناعات فى ذلك الوقت من قطع الأثاث الخشبية والمعدنية والآنية الفخارية والخزفية والزجاجية والمعدنية ، والأدوات والمعدات المختلفة ، كما صارت بغداد مركزا تجاريا رئيسيا بين بلدان الشرق وأوربا ، وازدهرت فيها العلوم والفنون والآداب وحركة الترجمة والتأليف ، وشهدت المدينة الكثير من مواكب الخلفاء واحتفالاتهم ومجالسهم فى المناسبات المختلفة ، فضلا عما اتسمت به الحياة الاجتماعية من مظاهر الثراء والبهجة والرقى وبشكل خاص فى قصور الخلفاء وعلية القوم .

ومما يذكر أن انشاء مدينة سامرا إلى الشمال من بغداد واتخاذها عاصمة للدولة العباسية فترة خمس وخمسين عاما ( ٢٢١ - ٢٧٦ هـ ) لم يؤثر على العاصمة الأم بغداد ، إذ ظلت عامرة مزدهرة فى شتى مجالات الحضارة ومظاهرها حتى داهمها الخطر المغولى سنة ٦٥٦ هـ .



### (٣) القاهرة :

نهج الفاطميون نهج أسلافهم فى تأسيس حاضرة لهم بعد دخولهم مصر سنة ٣٥٨ هـ (٦٩٦م) فأنشأوا مدينة القاهرة إلى الشمال من العواصم الثلاث السابقة عليها : القسطنطينية والعسكر والقطن ، وكانت المدينة الجديدة عند انشائها أشبه ما تكون بحصن حربى حيث أحيطت بسور من جوانبها الأربعة ، وكان كل جانب يضم بابين كبيرين حيث كانت الأبواب الثمانية تفتح نهارا وتغلق ليلا لتوفير الأمن للمدينة الحصن ، كما اقتضت الإقامة بالمدينة الجديدة على الجند الفاطمى ومن كان يصاحبهم من أبناء القبائل المغربية ، ولهذا ظهرت المدينة عند انشائها كحصن حربى منيع .

واتخذت المدينة شكلا مربعا طول ضلعه ١٢٠٠ مترا ، وبلغت مساحتها ٣٤٠ فداناً مربعا وبنى السور على يد جوهر الصقلى فى عهد الخليفة المعز لدين الله الفاطمى سنة ٣٦٠ هـ بالطوب اللبن الذى لم يعمر طويلا ، وإن كان المقرئ قد أدرك أجزاء منه فى القرن الثامن الهجرى وصفها فى كتابه الخطط ، ثم أحيطت المدينة بسور ثانى بنى من الحجر على يد الوزير أمير الجيوش بدر الجمالى فى عهد الخليفة المنتصر بالله الفاطمى سنة ٤٨٠ هـ وحافظ السور الجديد على مواقع الأبواب وأسماؤها حيث كان السور الشمالى يضم بابا النصر والفتوح فى حين ضم السور الجنوبى بابا زويلة والفرج ، أما سور الضلع الشرقى فكان يضم باب البرقية وباب القراطين بينما ضمت الناحية الغربية المطلة على خليج أمير المؤمنين باب سعادة ، وباب القنطرة ولا تزال بعض هذه الأبواب وآثارها باقية حتى الآن .

وكعادة المسلمين كان يتوسط المدينة الجديدة المسجد الجامع الكبير وهو الجامع الأزهر الذى اشتق اسمه من اسم السيدة فاطمة الزهراء ، أو من اسم القصور الزاهرة التى أنشأها الفاطميون بالقاهرة كالقصر الشرقى الكبير الذى بنى فى عهد الخليفة المعز ليكون مقرا له عند قدومه من المغرب ، وكذا القصر الغربى الصغير الذى بناه الخليفة الفاطمى الثانى العزيز بالله وغيرهما ، وقد تميزت العمائر

الفاطمية الدينية والمدنية بالثراء الزخرفى بالعناصر البنائية والهندسية وكتابات الخط الكوفى الزخرفية وبالزخارف العربية المورقة التى عرفت باسم " أرابسك " نسبة إلى العرب لأنها ابتكار زخرفى عربى أصيل .

وضمت القاهرة الفاطمية بالإضافة إلى الجامع الأزهر جامع الحاكم بأمر الله المتاخم لبابى السور الشمالى وجامع الأقمر الذى بنى فى عهد الخليفة الأمر بأحكام الله فى وسط شارع المعز لدين الله (حاليا ) والذى كان بعد قسبة القاهرة أى شارعها الرئيسى ، وكذا جامع الصالح طلائع الذى بنى فى أواخر العصر الفاطمى وحمل اسم الوزير طلائع بين رزيك .

كما ازدهمت القاهرة فى العصر الفاطمى بالأسواق المتخصصة بمعنى تخصص كل سوق فى سلعة بعينها كسوق الحرايريين ، وسوق الفحامين ، وسوق النحاسين وغيرها ، وضمت عددا كبيرا من المرافق والدواوين والمنتزهات فضلا عن المنازل والدور والقصور التى كانت تزدهم وتزداد كثافتها فى وسط المدينة حول الجامع الأزهر وتقل كثافتها كلما ابتعدت عن وسط المدينة .

ولم يؤد إنشاء القاهرة إلى موات العواصم الثلاث السابقة دائما فاستمرت مأهولة عامرة بالسكان والحوانيت والحرافيش وأصبح يطلق عليها جميعا اسم " القسطنطينية " أو " مصر " تميزا لها عن القاهرة المعزية الفاطمية ، وقد أحاطها جميعا صلاح الدين الأيوبي بسور واحد فيما بعد تحصينا لها من الخطر الصليبي وقد أمدنا العصر الفاطمى بالعديد من التحف الأثرية الفنية المصنوعة من مواد مختلفة من قطع الأثاث الخشبي والمعدني والآنية والأدوات والمعدات والفرش المختلفة ويقتنى متحف الفن الإسلامى بالقاهرة مجموعات كبيرة ومتنوعة منها ، تشهد بقيام صناعات عديدة لإنتاجها لتلبية مطالب الحياة فى المدينة الجديدة الكبيرة .

الباب الثاني

## الآثار الإسلامية

## مقدمة :

يستهدف علم الآثار دراسة ماخلفه الإنسان من ملابس وفرش وأدوات وآنية ومعدات وأسلحة وقطع أثاث ، وعملة ، ومؤلفات ووثائق بالإضافة إلى العمائر التي كان يقطنها أو يستخدمها في شتى أغراض حياته .

ويعود اهتمام الإنسان بما خلفه الإنسان السابق عليه إلى عهود قديمة ، حيث كان يجمع مخلفات السابقين عليه ويحافظ عليها حفاظا على ذكرى الأقدمين وآثارهم ، واقتناء للنادر والقيم منها . وعلى سبيل المثال عثر في مدينة أور القديمة على مبنى ربما كان متحفا للمدينة .

كما ساعدت بعض العقائد الدينية القديمة على حفظ الكثير من الآثار والمخلفات السابقة ، فالديانة المصرية القديمة بقيامها على عقيدة الخلود وعودة الحياة بعد الموت أدت إلى دفن كل ما كان يستخدمه المصري القديم معه في مقبرته ، حتى إذا عادت إليه الروح في الحياة الأخرى - الأبدية - وجد كل ما يحتاج إليه من فرش وملابس وحلى وأدوات وآنية ومعدات وآلات كان يستخدمها في حياته الأولى ، فتستقيم حياته الأخرى وينعم فيها بالخلود الدائم ، وليس أول على هذا مما عثر عليه بمقابر الملوك والأمراء الفرعنة مما تكتظ به المتاحف العالمية الآن .

كما أن المعابد اليونانية القديمة كانت أشبه ما تكون بالمتاحف بمفهومنا الحديث عنها . وذلك بما كانت تضمه من كنوز وتحف من منتجات الفنون والصناعات المختلفة في ذلك العصر ، كما أن القصور الرومانية الباقية - التي كانت تفتح للعامة للزيارة كمزارات أو متاحف تجمع بين عمارة القصر التاريخي الأقدم وما يضمه من كنوز وتحف أثرية نفيسة ، كما كانت الأسكندرية القديمة تضم مكتبتها الشهيرة الغنية ومتحفا يعود إلى عهد البطالمة مما يدل على اهتمام حكام العصر القديم بالآثار وهاهو الأمبراطور الروماني هادريان يعتنى بالآثار الجميلة الباقية من

عهود سابقة عليه ويحرص على حفظها فيأمر بتشيد مبنى كبير لحفظ الرسوم ، ومتحفا لاقتناء الكنوز والتحف في تيبور كما أشادت الروايات التاريخية إلى إهداء مارية ابنة ظالم بن وهب لقرطيبها إلى الكعبة - قبل ظهور والإسلام ، في حين يهدى الشيخ عبد المطلب بن هاشم - جد الرسول محمد عليه الصلاة والسلام تمثالين من ذهب على هيئة غزالين عثر عليهما في بئر زمزم إلى الكعبة أيضا ، مما يشير إلى الاهتمام بآثار السابقين والحرص على حفظها في مكان آمن حماية لها من الضياع .

وفي العصر الإسلامي حرص معظم حكام المسلمين على جمع التحف الثمينة وضمها إلى قصورهم أو نقلها إلى المساجد التي تحمل اسماءهم وغيرها، كما عمل كثير من التجار في تجارة التحف والكنوز الثمينة من مخلفات السابقين ، كما يشهد التاريخ لبعض حكام المسلمين حرصهم على عمارات السابقين ، وإن كان يشهد من جهة أخرى بعكس ذلك ، كما أشاد بعض المؤرخين القدماء بآثار الأقدمين وأشاروا إليها في مؤلفاتهم من أمثال هيرودوت وبلوتارك .

كما ذكر الشعراء العرب في العصر الجاهلي بعض القصور القديمة في قصائدهم كقصر غمدان وقصر الخورنق .

ثم تبلور الاهتمام بآثار الأقدمين ومخلفات السابقين في صورة تنقيب مقصود عن الآثار قامت به الحكومات والأفراد من الهواة أو التجار أو العلماء أو اللصوص على السواء ، ولم يكن يعيب هذا التنقيب سوى الرغبة في الحصول على الغالى والنفيس من الكنوز فقط دون اهتمام بدراسة المكان الذي عثر عليها فيه ، أو الظروف والحالة التي وجدت بها .

وبمرور الوقت وبزيادة أدراك أهمية آثار السابقين ، وضرورة الحفاظ عليها ودراستها لكشف النقاب عن تاريخ الأقدمين من مستخدميها أو معاصريها ، ظهرت أعمال التنقيب الأثرى المنظمة والمرعية من سلطة الدولة أو تحت إشرافها ، وفي مصر على سبيل المثال تعود بداية الدراسات الأثرية المنظمة إلى عهد الحملة

الفرنسية على مصر ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ م ) وذلك بفضل علماء الحملة الذين عكفوا على دراسة التاريخ المصرى وما خلفته العهود السابقة من آثار معمارية وفنية وكشفها ورسمها ووصفها للتعريف بها ، وهو ما تمخض عنه تأليف كتاب وصف مصر بواسطة علماء الحملة الفرنسية .

وفى أواخر القرن التاسع عشر الميلادى حدث تطور كبير عندما بدأت الحكومات والمؤسسات الحكومية والجامعات تباشر أعمال الحفر الأثرى أو تشرف عليه أدراكا منها لأهميته وأهمية ماينتج عنه ومسئوليتها عن ذلك .

ويعود ظهور لفظ أركيولوجيا Archieologia أى الآثار ، إلى القرن السابع عشر الميلادى حيث عرف فى أوروبا للدلالة على العصور الكلاسيكية - أى اليونانية الرومانية القديمة ، ثم اتسع مدلولها ليشمل غيرها من الآثار المصرية ، والعراقية والفارسية القديمة ثم اتسع مدلول اللفظة بشكل أكبر ليشمل أيضا آثار ما قبل التاريخ .

وكان من نتيجة ذلك ظهور علم الآثار والاهتمام به لتحقيق هدفين ، أولهما العثور على الأثر وكشفه بطريقة علمية ، وتسجيل وضعه ، ووصفه ، وقياس أبعاده ، وتصويره ، وصيانتته وحفظه فى أماكن خاصة معدة لذلك ، وعرضه بطريقة مناسبة للتعريف به ، والثانى دراسة الآثار المكتشفة واستجلاء الكثير من المعلومات منها وعنها بالاستعانة بعدد من العلوم والمعارف ذات الصلة بها كعلوم الكيمياء والطبيعة والطب والأنثروبولوجيا (علم طبائع الإنسان ) والجيولوجيا ، والاثنوغرافيا (علم خصوصيات الشعوب ) والتاريخ والجغرافيا ، والمساحة ، والتصوير ، والهندسة بفروعها .

## دراسة الآثار الإسلامية

تحتل دراسة الآثار الإسلامية مكانة متميزة بين الدراسات الأثرية لأن حضارة الإسلام امتدت في مساحة كبيرة غير مقطوعة بين حدود الهند والصين شرقا والمحيط الأطلسي غربا وبين جبال البرانس وجنوب أوروبا شمالا والمحيط الهندي ووسط أفريقيا جنوبا ، كما أنها عمرت فترة لا تقل عن عشرة قرون كتب لها خلالها السيادة والغلبة على ماعداها من حضارات سابقة أو معاصرة .

ويعود اهتمام المسلمين بآثار وحضارة السابقين عليهم إلى عهد الوحي نفسه ، فها هو القرآن الكريم يدعو إلى تدبر آثار السابقين وتاريخهم في أكثر من آية من آياته كقوله تعالى " أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثارا في الأرض فما أغنى عنهم ماكانوا يكسبون " (سورة غافر - الآية ٨٢ ) وقوله تعالى : " وكم أهلكنا من قرية بطرت معيشتها فتلك مساكنهم لم تسكن من بعدهم إلا قليلا وكنا نحن الوارثين " (سورة القصص - الآية ٥٨ ) وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل وكانوا مستبصرين (سورة العنكبوت - الآية ٣٨ ) ، واهتم كثير من الكتاب المسلمين بدراسة الآثار والتحف الإسلامية من أمثال الأزرقى الذى أشار إلى آثار مكة المكرمة ، والسمهودى الذى كتب عن المسجد النبوى بالمدينة المنورة ، والهمذانى الذى وصف آثار الجزيرة العربية ، كما تضمنت مؤلفات الرحالة المسلمين كابن جبير وابن بطوطه أوصافا عديدة للآثار التى شاهدوها فى رحلاتهم ، وتكتسب هذه الإشارات أهمية خاصة لما تقدمه لنا من أوصاف لهذه الآثار فى الوقت الذى شاهدناها فيه الرحالة ، وتتضاعف هذه الأهمية بالنسبة للآثار التى اندثرت حيث يبقى وصفها فى الوثائق والحجج وكذا فى الكتب التاريخية وكتب الرحالة خير شاهد وواصف لها .

وشهد منتصف القرن التاسع عشر الميلادى بداية ظهور الدراسات العلمية عن الآثار الإسلامية ، كما شهد آخر القرن نفسه وبداية القرن العشرين وبداية القرن نفسه بداية التنقيب العلمى عنها ، كما يتمثل فى حفائر بنى حماد بالجزائر (١٨٩٨م)

وحفائر الزهراء بالأندلس (١٩١٠م) وحفائر الفسطاط بمصر (١٩١٢) وحفائر سامرا بالعراق (١٩١٣ م) .

وكان من الطبيعي أن يلحق بأعمال التنقيب الأثرى تخصيص أو بناء مبان لحفظ ما تكشفه الحفائر الأثرية من تحف وكنوز ، وهو الأمر الذى تطور فيما بعد لبناء متاحف مخصصة لحفظ التحف الأثرية ، كمتحف الفن الإسلامى بالقاهرة ، ومتحف قصر طوبقابي سراى باستانبول .

أما العمائر الباقية ، فاتخذت الإجراءات المناسبة للحفظ عليها فى أماكنها ، وحمايتها من أية أخطار تهددها وصيانتها وترميمها ، ونقل ما يمكن نقله منها كالأعمدة والأبواب والنوافذ وغيرها للحفظ بالمتاحف المعنية .

وقد شهد النصف الثانى من القرن العشرين اهتماما لائقا بدراسة الآثار الإسلامية يتمثل فى حرص الحكومات على إنشاء الوزارات والإدارات والهيئات المتخصصة فى الآثار للقيام بأعمال الحفائر الأثرية على أسس علمية دقيقة ، وتسجيل الآثار المكتشفة وتصويرها وترميمها وتخصيص المتاحف لحفظها والتعريف لها بوسائل عديدة ، كما أفردت الجامعات والمؤسسات العلمية الأقسام والكليات المتخصصة لدراسة الآثار الإسلامية وما يتصل بها من علوم وفنون ، وظهرت الدراسات والأبحاث العديدة التى تعرف بالآثار والتحف الإسلامية وتستخلص منها المعلومات الهامة باعتبارها المصدر الرئيسى والأصيل للمعلومات عن العصر المعنى بالدراسة .

### **الفنون الإسلامية ودعائنها :**

نشأت الفنون الإسلامية معتمدة على العروبة والإسلام شأنتها شأن سائر مظاهر الحضارة الإسلامية - التى أقردنا بها القسم الأول من هذه الدراسة ويصعب على الدارس الفصل بين كل من الآثار والفنون الإسلامية ، ودراسة الآثار الإسلامية سواء كانت معمارية أو فنية تشكيلية ، أو فنية تطبيقية هى دراسة للفنون الإسلامية ذاتها من عمارة بأنواعها وفنون تشكيلية كالنحت والتصوير والحظ والزخرفة وفنون



تطبيقية طبقت على مواد بعينها تمت صناعة منتجاتها وزخرفتها كفنون المعادن والأخشاب والنسيج والزجاج والفخار والخزف والجلد والورق والحجر وغيرها ، كما أن دراسة الفنون الإسلامية لا تتم إلا بدراسة الآثار المعمارية والتحف الأثرية التي بقيت من العهود والبلدان الإسلامية المختلفة .

وقد اعتمدت الفنون الإسلامية على ثلاثة أسس ودعائم رئيسية فى نشأتها وتطورها ، وهى المصحف الشريف ، والمسجد ، والخط العربى .  
فالمعروف أن المصحف الشريف يضم كتاب الله وكلامه المنزل على نبيه محمد عليه الصلاة والسلام ، وهو دستور الإسلام الرئيسى والأصيل ، الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فضلا عن تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظه .. " إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون " ..

ويعود اهتمام المسلمين بجمع آيات المصحف وحفظها إلى عهد النبى عليه الصلاة والسلام ، وعهد خلفائه الراشدين ، وتم جمعه فى هيئة مصحف من مصانف الرق [ الجلد الرقيق ] فى عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان حيث اتخذ المصحف رسما ارتضته جموع الصحابة والتابعين وشهدت بصحبته فأصبح الرسم العثمانى للمصحف أساسا لنسخ المصاحف وطبعها بعد ذلك وحتى اليوم .  
وأدى الاهتمام الكامل بالمصحف إلى العناية بكتابته وزخرفته وتذهيبه وتغليفه لحفظ صحائفه ومن هنا أدى هذا الاهتمام إلى مولد ثلاثة فنون ارتبطت به وقامت عليه وهى فن الكتابة والخط وفن التذهيب والزخرفة ، وفن التغليف أو التجليد ، وتضافرت هذه الفنون وفناتها فى إخراج المصحف بالهيئة التى تليق بكتاب الله ، فكان إخراجها على طول العصور يتخذ شكل التحفة الفنية المتكاملة واللائقة بمضمونه المنزل من السماء . ومن هنا كان إخراج المصحف الشريف بهيئة فنية رائعة أساسا لفنون الكتاب الإسلامية التى قامت عليها صناعة الكتاب فى العصر الإسلامى ، من كتابة يمثلها فن الخط العربى ، وزخرفته ويمثلها فن التذهيب والتغليف ويمثلها فن التجليد وأضيف إلى فنون الكتاب الثلاثة فن رابع لم

يستخدم فى المصاحف وهو فن الرسم والتصوير الذى استخدم فى المؤلفات التى تستدعى توضيح نصوصها (تزويدها بالرسوم والأشكال سواء كانت مؤلفات أوربية أو علمية .. وقد أمدتنا البلدان الإسلامية بأعداد ضخمة من المصاحف الشريفة والمخطوطات العربية والفارسية والتركية كتبها مؤلفوها فى شتى المعارف والعلوم ، وتشهد من حيث الشكل لفنون الكتاب الإسلامية بما بلغته من نصج ودقة وازدهار ، كان أساسه فن إخراج المصحف الشريف ، بل أن هذه الفنون كان لها تأثيرها أيضا على الفنون التشكيلية والتطبيقية الإسلامية الأخرى مما يدل على مدى اعتبار فن إخراج المصحف الشريف دعامة أساسية من دعائم الفنون الإسلامية عامة ..

**ويمثل المسجد الدعامة الثانية من دعائم الفنون الإسلامية ، ذلك أن عمارة المسجد وتأثيره كانت أساسا لفن العمارة الإسلامية ، ولعدد من الفنون التشكيلية والتطبيقية أيضا ، فقد اتخذ المسجد منذ بناء مسجد الرسول عليه الصلاة والسلام بيثرب تخطيطا يتكون من صحن أو فناء أوسط مكشوف - أى غير مسقف - تحيط به أربع مساحات مسقفة عرفت باسم مساحة الأورقة أو الأيوانات ، وكان أكبرها وأعمقها مساحة رواق القبلة الذى كان يضم المحراب المحدد لجهة القبلة والمنبر الذى كان يستخدم ولايزال لأداء خطبة الجمعة والعديد من فوقه ، وساد هذا التصميم وتم تنفيذه فى جميع المساجد التى أنشئت فى عالم الإسلام كله مع بعض الاختلافات فى التفاصيل الدقيقة فقط .**

واتخذ تصميم المسجد أساسا لتصميم المدارس حيث كانت تتكون من عدة أيوانات موزعة محوريا حول صحن أو فناء أوسط كان مكشوقا فى أول الأمر ، ثم سقف بعد ذلك ، كما اتخذ التصميم نفسه أساسا لتصميم عدد من الدور والقصور التى كانت أجنحتها وغرفها تتوزع بنظام متماثل حول فناء أوسط يحقق التهوية والانتارة لمرافق القصر أو الدار ، فضلا عما كان يضمه أحيانا من فواره مائية

(فسيقية) وبعض الأشجار ، وهكذا نرى أن تصميم المسجد اتخذ أساسا لتصميم كثير من العماثر الإسلامية الدينية كالمدارس والمدنية كالببوت والقصور .

ولم يكن المسجد عمارة تبنى فحسب ، وإنما تضافرت عدة فنون لتأثيثه وزخرفته ، ففي مجال الفنون التشكيلية لعبت كتابات الخط العربى والزخارف النباتية المورقة (ارابسك ) والهندسية دورا رئيسيا فى زخرفة جدرانه ومحاربه وفتحات نوافذه ، فضلا عن زخرفة أثاثه من محراب ومنبر وأسقف وأبواب ونوافذ ووسائل اضاءة أيا كانت مادة صنعها ، وقد تأثرت سائر هذه الفنون بما كان ينفذ منها فى المسجد واتخذت كأساس أو نموذج يهتدى به عند صناعة المنتجات الفنية وزخرفتها لاستخدامها خارج نطاق المسجد ، وأغلب الظن أن هذا الاقتداء بعمارة المسجد أو فنونه جاء نتيجة لاعتبار المساجد بيوت الله فى الأرض ولهذا حظيت باحترام المهندسين والصناع وإخلاصهم واتقانهم كل ما يصنعونه للمسجد .

أما الدعامة الثالثة من دعائم الفنون الإسلامية فهى الخط العربى ذلك أن الدور الذى لعبته كتابات الخط العربى فى الفنون الإسلامية كان دورا رئيسيا ، فمن النادر أن نقابل عملا فنيا إسلاميا يخلو من كتابة عربية تؤرخه وتزخرفه فى الوقت نفسه ، فقد توفر لحروف الخط العربى من الطواعية والمرونة وقابلية التشكيل فى هينات عديدة لكل حرف ، ما لم يتوفر فى أى خط آخر عرفته البشرية ، ولهذا استخدمت حروف الخط العربى كعناصر ووحدات زخرفية ، مثلها مثل العناصر والوحدات النباتية والهندسية ، ومن هنا ينفرد الخط العربى دون بقية الخطوط بازدواج وظيفته ، فبينما تقوم الخطوط الأخرى بوظيفة واحدة هى تسجيل لغاتها — أى نقلها من حالة الشفاهة والمخاطبة إلى حالة مكتوبة مسجلة ، قام الخط العربى بالوظيفة نفسها بالنسبة للغة العربية ، وبوظيفة أخرى هى الزخرفة ، حيث لعبت كتاباته الكوفية والنسخية دورا زخرفيا رئيسيا جعل بعض مؤرخى الفنون يعتبرون الخط العربى هو العلامة المميزة 'عمال الفنية الإسلامية' .

وإذا كانت الفنون الإسلامية الأخرى قد تأثرت بالفنون السابقة عليها حتى استقام عودها ونضجت شخصيتها الإسلامية فإن الخط العربى يعتبر فنا عربيا أصيلا ابتكره العرب المسلمون وطوروه وزينوه ، وأبدعوا منه صورا جميلة ، سواء فى مجال الخط الكوفى أو الخط النسخى ، حيث تفرع كل منهما إلى أنواع عديدة بحسب صورة كل نوع ، وكان من نتائج هذه المكانة للخط العربى أن تبوأ الخطاط فى المجتمع الإسلامى مكانة لم يتبوأها غيره من الفنانين ، فأشارت إليه كتب التاريخ والأدب ، وأشادت بدوره ومنزلته ، حتى أن بعض حكام المسلمين كانوا يقربون الخطاطين منهم ، ويتهافتون على اللوحات الخطية للمشاهير منهم للاحتفاظ بها فى قصورهم ومنشآتهم المختلفة ، بل أن بعض الحكام سعى لتعلم الخط العربى وفنونه .

### مُطرز الفنون الإسلامية وخصائصها ومجالاتها

اتسمت منتجات الفنون الإسلامية بعدة خصائص عامة من أهمها تميزها باتقان صناعتها ودقة زخارفها ، ويرجع هذا إلى استجابة الصناعات والفنانين لنداء دينهم فى الآية الكريمة " إن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا " ، والحديث الشريف " إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " وغيرهما ، كما يرجع إلى أن هذه المنتجات الفنية صنعت لتجميل حياة الإنسان ، وما يستخدمه من أنية وأدوات وفرش ومعدات ، وما يقصده من عمار كالمسجد والمدرسة والبيمارستان والسييل والحمام وما يقطنه من قصور ودور .

كما تميزت الفنون الإسلامية بحرص الفنان على زخرفتها ، وتمثل هذا فى شغله لكل الفراغات والأسطح المتاحة أمامه سواء كانت كبيرة كباطن قبة أو ظاهر منذنه أو كانت صغيرة كسطح طبق خزفى أو نصل سلاح معدنى أو غلاف كتاب جلدى وغيرها ، ويرجع هذا الفن الزخرفى إلى روح الفنان الزخرفية وخيالة الخصب ، وحرصه على تجميل مظاهر حياته ، واستخدم فى هذا عددا كبيرا من العناصر الزخرفية النباتية من فروع وأوراق وزهور وورود ، وكذا العناصر الهندسية من خطوط بهيئات مختلفة ودوائر ومثلثات وأشكال هندسية ونجمية فى

غاية التركيب والتعقيد كما استخدم الفنان عناصر من الكائنات الحية كرسوم الإنسان والحيوان والطير والأسماك ، ومع كل هذه العناصر والوحدات الزخرفية لعبت الحروف العربية دورا رئيسيا كعناصر زخرفية بهيئاتها المتعددة المعروفة بالخطوط العربية المتنوعة.

وبالإضافة إلى السمات العامة تميزت الفنون الإسلامية بمزايا وسمات خاصة كانت تختلف بحسب الزمان والمكان ، ومن هنا أمكن لعلماء الآثار الإسلامية ومؤرخي الفن الإسلامي تصنيفها إلى ما يعرف بالطرز والمدارس الفنية ، فكان هناك حسب الزمان الطراز الأموي والطراز العباسي ، والطراز الفاطمي ، والطراز السلجوقي والطراز المملوكي ، والطراز المغولي ، والطراز الصفوي ، والطراز العثماني ، وبحسب المكان كان هناك الطراز المصري ، والشامي ، والإيراني ، والأندلسي ، وغيرها ، بل بلغت السمات والخصائص من التحديد والتميز ما جعل علماء الآثار والفنون الإسلامية يصنعون الطراز بحسب المدينة الواحدة كطراز الفيوم في صناعة الخزف ، وطراز شيراز في صناعة السجاد وطراز الموصل في صناعة المعادن وطراز دمشق في صناعة نوع من الحرير ، أو بحسب فترة زمنية قصيرة ومحددة كطراز مدينة سامرا ، بل وصل التحديد أقصاه بنسبة أعمال فنية معينة إلى صانع بعينه تحددت ملامح أسلوبه وتأكدت على أعمال معينة ومؤرخه ، فأصبح من السهل نسبة أعمال أخرى إليه بحسب التشابه مع الأسلوب المؤكد كما في حالة صانع المعادن المكفتة الشهير / محمد بن سنقر البغدادي ، والمصور الإيراني الأشهر بهزاد وغيرهما .

وكان من الطبيعي أن تتأثر الفنون الإسلامية في كل إقليم بالبيئة التي أنتجتـه وتراثها الفني .

كما تأثرت الفنون الإسلامية بالفنون والحضارات السابقة والمعاصرة ، كثائر صناعة الخزف بالمنتجات الخزفية الصينية مثل السيلادون والبورسيلين .

ومن الجدير بالذكر أن نقرر أن السمات والمزايا الخاصة - أو ما اصطلح على تسميته بالطرز أو المدارس الفنية الإسلامية لم تباعد بين بعضها البعض ، دائما كانت تسود منتجات الفنون الإسلامية في ظلها روح واحدة وطابع واحد يمثلان الشخصية الإسلامية ، وهذا راجع بطبيعة الحال إلى وحدة الدين واللغة والكتابة والحكم والتقاليد والمصالح والموقع التي كانت تخضع لها جميع بلدان العالم الإسلامي وتشيع بين جنباتها على طول تاريخها .

وقد تنوعت المجالات التي ظهرت وسادت فيها الفنون الإسلامية ويمكن حصرها في ثلاثة مجالات رئيسية هي العمارة ، والفنون التشكيلية ، والفنون التطبيقية ، وهو مايفصله في الفصول الثلاثة الآتية

**الفصل الأول**  
**فنون العمارة الإسلامية**

تنوعت العمائر الإسلامية ما بين عمائر دينية كالمساجد والمدارس والأضرحة والخانقافات وعمائر مدنية كالقصور والدور والوكالات والأسواق والحمامات والأسبلة والبيمارستانات وقناطر المياه وغيرها ، وعمائر حربية تمثلت فى القلاع والأسوار والأبراج والربط .

وكان من الطبيعي أن يتبع تنوع العمائر تنوع التصميم والمساحة والعناصر المعمارية والزخرفية كما تنوعت طرز العمائر بحسب أماكن إنشائها وتاريخ الإنشاء .

وتميزت العمارة الإسلامية بغناها بالعناصر المعمارية المتنوعة من مآذن وقباب وقبوات ، ومداخل ، وعقود وأعمدة ، ومحاريب ، وأروقة ، وبائكات ، وشرافات ، ونوافذ ، وأفاريز وغيرها ، كما تنوعت عناصرها الزخرفية من حنيات وكسوات وحشوات ومقرنصات ودلايات وشمسيات وقمریات ومصبغات وغيرها .

ونتعرف فيما يلى على أمثلة من أشهر العمائر الإسلامية الباقية حتى الآن :  
**المسجد الحرام بمكة المكرمة :**

نص القرآن الكريم على أن بيت الله الحرام هو أول بيت وضع للناس [ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ]  
(سورة آل عمران - الآية ٩٦ )

كما جاء فى الحديث الشريف أنه أحد ثلاثة مساجد تشد إليها الرحال [بيت الله الحرام ، والمسجد النبوى بالمدينة المنورة والمسجد الأقصى بالقدس ] كما أن بيت الله الحرام يضم الكعبة المشرفة التى تتجه إليها ألوف الملايين عند كل صلاة مهما كانت مواقعهم ..

وقد عرف بيت الله الحرام بعدة أسماء : كالبيت العتيق والبيت الحرام والبيت المحرم والكعبة ، ويعود بناؤه - كما جاء بالقرآن الكريم - إلى عهد سيدنا إبراهيم وابنه إسماعيل - حيث اشتركا عليهما السلام فى بنائه ، وكانت الكعبة التى



بناها إبراهيم واسماعيل عليهما السلام - كما وصفها الأزرقى أقدم مؤرخى مكة - والمتوفى فى سنة ٨٥٨ م فى كتابه أخبار مكة - كانت ذات جوانب أربعة ، وبلغ طول ضلعها الشرقى ٣٢ ذراعا (حوالى عشرة أمتار ) وطول الغربى ٣٢ ذراعا ، والشمالى ٢٢ ذراعا (حوالى سبعة أمتار ) والجنوبى ٢٠ ذراعا ، وارتفاع جدرانها ١٨ ذراعا - (حوالى ستة أمتار ) ، وكانت الكعبة مبنية من ستة عشرة طبقة من حجر ، وخمس عشرة طبقة من خشب بالتبادل الاثنى عشر حتى سقف الكعبة .

أما الحجر الأسود فإنه يحتل مكانا من جدارها كعلامة على بدء الطواف حولها وعد أشواطه ، وهو المتبع عند الطواف حول الكعبة المشرفة حتى اليوم . ومن هنا فإن قداسة الكعبة وبيت الله الحرام تعود إلى ما قبل الإسلام ، وقد شارك النبي محمد صلى الله عليه وسلم فى إعادة بناء الكعبة وفى وضع الحجر الأسود بمكانه قبل البعثة .

ولقيت الكعبة وبيت الله الحرام ما يستحقانه من تكريم وتقديس على طول تاريخها ، وكان معاوية بن أبى سفيان هو أول من أدخل المنبر إلى المسجد الحرام سنة ٤٤ هـ وشهدت عهود جميع الخلفاء الأمويين والعباسيين اهتماما ورعاية للبيت الحرام بترميمه وزيادة مساحته ، كما اهتم بعمارته سلاطين المماليك فى مصر ، وكانت عمارته فى عهد كل من السلطان فرج بن برقوق ، والسلطان برسباى من أهم ما أجرى عليه من تحسين وترميم وزيادة فى مساحته ، كما أولى سلاطين الأتراك العثمانيين اهتمامهم لبيت الله الحرام ، وتستمر حتى اليوم جهود ملوك المملكة العربية السعودية لخدمة بيت الله الحرام لدرجة أن مساحته تضاعفت عشرات المرات وأصبح يضم الآن خمسة وعشرين بابا وسبع مآذن فضلا عن استخدام رخام خاص فى كسوة أرضه ، وغير ذلك من وسائل استضافة ضيوف الرحمن فى موسم الحج وعلى مدار العام كله لأداء العمرة والزيارة . ( لمزيد من التفاصيل - انظر / دكتور حسن الباشا - مدخل إلى الآثار الإسلامية - ص ٩١ ، ١٠١ ، إبراهيم رفعت - مرآة الحرمين ) .

## قبة الصخرة بالقدس

تقوم القبة الضخمة فوق صخرة غير منتظمة الشكل من صخر طبيعي من جبل موريا - أبعادها ١٨ × ١٣ م ، وأقصى ارتفاع للصخرة ١,٥ م ، ويعتقد أنها الصخرة التي انتهى إليها إسرائ النبي محمد عليه الصلاة والسلام من مكة إلى القدس ، ووقف فوقها قبل الإعراج به إلى السماء .

وقد بنى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان سنة ٧٢ هـ ( ٦٩١ ٦٩٢ م ) فوق هذه الصخرة قبة كبيرة وتقول بعض الروايات التاريخية كرواية اليعقوبى ( متوفى ٨٧٤ م ) أنه قصد من بنائها صرف الحجاج السوريين عن الذهاب إلى الكعبة والحج إلى الصخرة المقدسة ، وذلك خلال نزاعه مع عبد الله بن الزبير الذي نصب نفسه خليفة من دون بنى أمية بمكة المكرمة ودانت له بالولاء بعض الأقاليم الأخرى من عالم الإسلام فى ذلك الوقت المبكر من تاريخه ، وإن كان المقدسى ( متوفى ٩٨٥ م ) يرى أن بناء عبد الملك لقبة الصخرة جاء من باب منافسة عظمة كنيسة القيامة بالقدس .

وأيا كان السبب الصحيح فى بنائها فإن قبة الصخرة تعتبر أقدم الآثار الإسلامية الباقية ويقع على امتداد محورها الرئيسى مسجد عمر الذى اصطلاح على تسميته بالمسجد الأقصى .

ويتكون تصميم قبة الصخرة من شكل دائرى تعلوه قبة خشبية وكان قطرها عند الإنشاء ٤٤, ٢٠ متر وترتكز فوق رقبة عالية تضم ١٦ نافذة ترتكز بدورها على أربع دعائم كبيرة واثنى عشر عمودا تكون فيما بينها شكلا دائريا يحيط بالصخرة المقدسة ، وكان ارتفاع القبة يساوى قطرها تقريبا ، ويتم الدخول إلى القبة عبر أربعة أبواب محورية ، يبلغ عرض كل باب ٦, ٢ م وارتفاعه ٣, ٤ م ، وتضم القبة بداخلها ممرين للطواف حول الصخرة المقدسة ، وهما محصوران بين الصخرة وصف الأعمدة الإثنى عشرة والدعائم الأربع وصف آخر من ثمانية دعائم وست عشرة عمودا تكون شكلا مثمنا داخليا ، ويغطى الممرين سقف منحدر قليلا مصنوع من خشب مصفح من الخارج برقائق الرصاص ،

وتتضمن القبة من الداخل ست وخمسون نافذة موزعة بواقع خمس نوافذ فى كل جانب من جوانب المئمن ( تساوى ٤٠ نافذة ) وست عشرة نافذة فى ربة القبة كما سبق القول .

ويغطى جدران القبة من الداخل كسوة زخرفية من فصوص النسيفساء المتعددة الألوان ( موزاييك ) تضم أشكالا نباتية وهندسية وكتابات عربية بالخط الكوفى غاية فى الإبداع ، ويبلغ طول هذه الزخارف النسيفسائية ٢٤٠ مترا وتضم آيات قرآنية وعبارات دينية وتاريخ إنشاء القبة سنة ٧٢ هـ ، وكانت القبة الأصلية قد سقطت سنة ٤٠٧ هـ وأعيد بناؤها سنة ٤١٣ هـ ، وأجريت عليها عدة ترميمات وإضافات ، وتضم محرابا غير مجوف ينسب إلى عهد منشئها الخليفة عبد الملك بن مروان ، ومحراب آخر يعرف بقبة الأنبياء ، ولا تزال قبة الصخرة وبالقرب منها المسجد الأقصى يعتبران من المزارات الإسلامية الهامة بمدينة القدس العربية الشريفة .

### الجامع الأزهر بالقاهرة :

أنشأه جوهر الصقل فى وسط مدينة القاهرة التى أسسها عقب فتحه مصر سنة ٣٥٨ هـ ( ٩٦٩ م ) ، واتخذ الجامع هذا الاسم نسبة إلى لقب السيدة فاطمة الزهراء ، وهناك رأى آخر يقول بأن التسمية تنسبه إلى القصور الفاطمية الزاهرة التى أنشئت بالقاهرة - كما ذكرنا من قبل - وذلك من باب التيمن بأن يكون الجامع مركز إشعاع علمى ودينى كبير ، وهو ما تحقق بالفعل حيث ظل الجامع الأزهر منذ إنشائه وحتى الآن حصنا لعلوم الدين واللغة العربية وأخيرا لعلوم الدنيا من طب وهندسة وزراعة وعلوم وتجارة وغيرها ، وقد لعب الجامع الأزهر وغيره من المساجد التى أنشأها الخلفاء والوزراء الفاطميون فى مصر دورا هاما فى نشر المذهب الشيعى ( مذهب الدولة الفاطمية ) لطمس المذهب السنى ( مذهب الخلافة العباسية ) التى كانت تتبعها مصر قبل قيام الحكم الفاطمى بها .

وقد بدأ إنشاء المسجد فى جمادى الأولى سنة ٣٥٩ هـ ( إبريل ٩٧٠ م ) وانتهى بناؤه وأقيمت أول صلاة جمعة فى ٧ رمضان سنة ٣٦١ هـ ( ٢٢ يونيو

واتخذ تصميم المسجد عند انشائه التخطيط التقليدي المعروف المكون من صحن - أو فناء - أوسط مكشوف تحيط به أربعة أروقة مسقوفة أكبرها رواق القبلة وقد أضيفت إلى المسجد في العهود التالية بدءاً من العصر الفاطمي نفسه مساحات ضخمة وزيادات عديدة ومرافق هامة من أهمها وأكبرها تلك الزيادة التي أضافها إليه عبد الرحمن كتحدا في العصر التركي العثماني سنة ١١٦٧ هـ / ١٧٥٣ م حيث أضاف رواقاً للقبلة خلف الرواق الأصلي ، ولا يزال الجامع الأزهر يحظى برعاية حكام مصر وعنايتهم بما يجري عليه من ترميم وإضافة مع المحافظة على التخطيط الأصلي وعلى الآثار الباقية من عهد الإنشاء والعهود التالية ومن أهمها المنذنتان اللتان تتصدران واجهة المسجد ومدخله الرئيسى على ميدان الأزهر الحالى وهما من إضافات العصر المملوكى الجركسى إلى الجامع الأزهر فأحدهما تعود إلى عهد السلطان قايتباى والأخرى إلى عهد السلطان قانصوه الغورى وتتميز برأسها المزدوج ، كما يحتفظ الجامع الأزهر بمنذنتين أخريين ترجعان إلى عمارة عبد الرحمن كتحدا التى أجراها للمسجد ، كما يحتفظ المسجد بمجموعة من الأروقة السكنية التى كانت مخصصة لإقامة طلاب العلم وأساتذته من بلدان العالم الإسلامى ، ولا تزال تحمل أسماءها الدالة على ذلك كرواق الشوام ورواق الأفغان ورواق الأحباش وغيرها وتعود كلها إلى إضافات عبد الرحمن كتحدا في العصر التركى العثمانى أيضا .

### بيمارستان المنصور قلاوون بالقاهرة :

يمثل بيمارستان السلطان المملوكى البحرى المنصور قلاوون أحد أبنية مجموعته المعمارية الشهيرة بحى النحاسين بالقاهرة ، وتضم إلى جانب البيمارستان مدرسة قلاوون وقبته التى تعلو مدفنه ، وتقع فى منتصف شارع المعز لدين الله حالياً ، وتقوم هذه المجموعة البنائية فوق المكان الذى كانت تشغله مبائى القصر الغربى الصغير الذى أنشئ فى عهد الخليفة الفاطمى الثانى العزيز بالله ، وأشرف على بناء البيمارستان الأمير علم الدين سنجر الشجاعى، واستغرق بناؤه أكثر من عام فيما بين ربيع الآخر ٦٨٣ هـ وجمادى الأولى سنة ٦٨٤ هـ كما تنص على

ذلك الكتابة التسجيلية التى تعلو جدران واجهة المجموعة البنائية لقلالون ويقال أن قلالون اقتدى فى بناء الليمارستان بنور الدين محمود بن عماد الدين زنكى بدمشق حيث كان قلالون قد عولج به وهو أمير فنظر أن تتم الله له الشفاء وملك حكم مصر أن يبنى بها بيمارستانا على غرارهِ وكان الليمارستان يقدم خدماته لعامة الناس ويضم عدة أقسام بحسب أنواع الأمراض التى يعالجها ، ورتب له السلطان قلالون العدد المناسب من الأطباء والصيادلة والممرضين والفراشين والمباشرين - أى موظفى الإدارة - كما كان يضم الأثاث المناسب ، والأدوات والمعدات اللازمة للعلاج ، وألحق به مطبخ لطبخ الأدوية واعدادها للمرضى وبلغ ما يصرف منها للمرضى عدة قناطر فى اليوم الواحد .

الفصل الثانى

**الفنون التشكيلية**

**الإعلامية**

يقصد بالفنون التشكيلية - وهو مصطلح حديث - فنون النحت والتصوير والخط والزخرفة ، أى ما يتم رسمه وتشكيله على الأعمال المعمارية أو الفنية المختلفة ، وقد أسهم الفنانون المسلمون فى كل منها اسهامات كبيرة وصلتنا أمثلة عديدة منها بين ماوصلنا من آثار معمارية وتحف فنية صنعت من مواد مختلفة وترينها زخارف وكتابات متنوعة ونختار على سبيل المثال من بين هذه الفنون فن الخط العربى بمصر لما يمثله هذا الفن من أهمية . حيث كان القاسم المشترك الأعظم فى كل المنتجات الفنية الإسلامية حتى أن مؤرخى الفنون اعتبروه العلامة المميزة للفنون الإسلامية بصفة عامة .

## فن الخط

لعب الخط العربى فى حياة القاهرة وحضارتها دورا فنيا لا يقل اهمية وفاعلية عن دوره كوسيلة للكتابة والتفاهم ، ولم تبخل عليه القاهرة برعايتها فاعطته من مظاهر العناية والتقدير ومن دفعات التجويد والتطوير ما وصل به الى المكانة الممتازة الجدير بها ، حتى ان الخط العربى أصبح فى بعض المراحل التاريخية علامة القاهرة المميزة لمعائنها ومنتجاتها الصناعية والفنية المختلفة التى تزدان به . ولقد تميز الخط العربى بعدة خصائص فنية لم تتوفر لغيره من الفنون العربية الاسلامية ، ذلك ان مرونة حروفه وسهولة حركته وقابليته للتشكيل والزخرفة ادت كلها الى اطلاق العنان امام الخطاط القاهرى الذى اخذ يشكل حروفه حسب المساحات المخصصة للكتابة ويزخرف كتاباته يشتمل الاساليب الزخرفية المتنوعة التى كانت تعبر عن ذوقه السليم وادراكه التام لاصول فن الخط العربى وفهمه لاسرار حروفه واشكالها .

وقد عرفت القاهرة الخط العربى منذ دخلها الاسلام بلسانه العربى وكان لكتابة القرآن الكريم بهذا الخط اثره الكبير فى تقديس هذا الخط وتقديره وبذل الجهود لتحسينه وتطويره . وتدلنا احدى البرديات المصرية المتبادلة بين عمرو ابن العاص والى مصر من قبل الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه وبين عامله على اقليم اهناسية بمصر والمؤرخة بسنة ٢٢ هـ على ان الخط العربى فى ذلك الوقت - القرن الاول الهجرى - كان لا يزال يحمل فى طياته خصائص نوعية الرئيسيين اللذين عرفا فيما بعد بالخط الكوفى المبسوط والخط النسخ المقور ( دكتور حسن الباشا - الخط الفن العربى الاصيل ) .

وبمرور قليل من الوقت ظهرت ملامح كل من الخطين الرئيسيين وشاع فى القاهرة شأنها فى ذلك شأن البلدان العربية والاسلامية الاخرى استعمال الخط الكوفى فى الكتابات التسجيلية التاريخية وفى تدوين المصاحف والكتابة به على العماير كالمساجد والاضرحة وعلى قطع العملة المختلفة ، اما الخط النسخ فقد استعملته القاهرة لسهولة وسرعة الكتابة به فى المراسلات العادية والمعاملات اليومية كما يتضح من مئات البرديات التى عثر عليها بمصر .

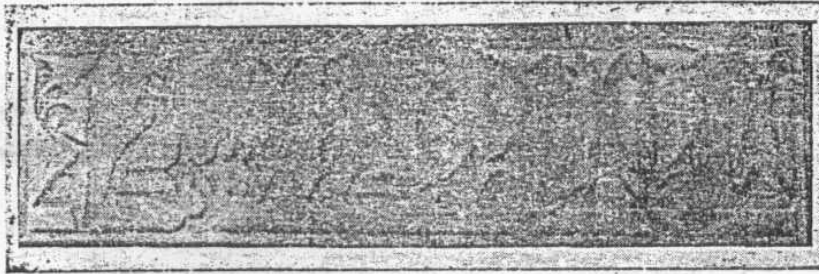
ولما كان الخط العربى هو وسيلة الكتابة والاتصال بين سائر الاقطار والبلدان الاسلامية فان كل خطوة خطاها اى من هذه البلدان نحو تحسين الخط وتطويره



مانت سرعان ما ينتشر صداها ويمع استعمالها في مختلف البلدان وخاصة تلك التي تتجاور حدودها وتتقارب شعوبها وتتفق ميولها وروحها الفنية .

ونتيجة لهذا فان جهود الرعيل الاول من كبار الخطاطين المسلمين في القاهرة كالخطاط «طبطب» الذي عاش بمصر في العصر الطولوني والخطاط «قطبة» الذي نجح في تطوير الخط الكوفي واستنباط خطوط جديدة منه في اوائل حكم العباسيين للدولة الاسلامية ، هذه الجهود وما تبعها من جهود الخطاطين المشهورين كانت كلها بمثابة الخطوات التي خطاها الخط العربي في طريق تحسينه وتطويره وتنويعه ، وقد امتدت آثار هذه الخطوات وانتشرت في معظم البلدان الاسلامية ، ومن هنا تبرز ميزة اخرى من مميزات الخط العربي ونعنى بها تطويره الدائم وعدم جموده عند شكل واحد .

ولقد سار الخط الكوفي في طريق تطوره بعدما هذبت حروفه ونسقت كلماته ونظمت سطورته ، وتمثلت المرحلة التالية في تحسينه في اضافة زيادات زخرفية نباتية وهندسية الى حروفه فاصبحت تكتب بالاساليب زخرفية ظلت ترتقى وتتطور وتتعدد حتى تفرع الخط الكوفي بحسبها الى عدة انواع منها : الكوفي البسيط الذي تميز باضافة زيادات بسيطة اليه على هيئة شرط قصيرة او مثلثات صغيرة تنتهي بها حروفه القائمة ، والكوفي المورق الذي تزخرف حروفه وريقات نباتية ذات هيئة نخيلية او نصف نخيلية والكوفي المزهر الذي تتصل حروفه الكتابية بزخارف نباتية مكونة من وريقات متعددة الفصوص وتغطي ارضيته تكوينات زخرفية نباتية من فروع متموجة تكون لفائف مورقة تتألف منها في مجموعها زخرفة الارابيسك الاسلامية المشهورة ومن الانواع الاخرى للخط الكوفي التي عرفت بالقاهرة الكوفي المضفر الذي تتداخل بعض حروفه مع بعضها الآخر او تضاف اليه عناصر زخرفية مجدولة تضاف عليه مظهر الضفر والتداخل والكوفي ذو الحواف وكان يستعمل



لوحة من الرخام عليها بالخط الكوفي البارز شهادة التوحيد -  
حوالي القرن الخامس الهجري / ١١ م  
( متحف الفن الاسلامي بالقاهرة )

بصفة خاصة فى زخرفة حواف الكتابات التذكارية كشواهد القبور مثلا إما الكوفى المربع فقد كان ذا طابع هندسى أكثر من أى نوع آخر من أنواع الخط الكوفى الزخرفية .

وقد عرفت القاهرة معظم هذه الأنواع واستعملتها فى كتاباتها المختلفة . على أن أقدم ما وصلنا من كتابات القاهرة الكوفية الكتابة التى تعلو جدران البئر الذى يتوسط مقياس النيل بالروضة الذى أمر بإنشائه الخليفة العباسى المتوكل على الله سنة ٢٤٥ هـ وقد نفذت هذه الكتابة بطريقة الحفر البارز فى الحجر، وتحمل الكتابة بعض آيات من القرآن الكريم وتنتهى بنص تاريخى على جانب كبير من الاهمية يقرأ كما يلى

« بسم الله الرحمن الرحيم — مقياس يمن وسعادة ونعمة وسلامة أمر بينائه عبد الله جعفر الامام المتوكل على الله أمير المؤمنين أطل الله بقاءه وأدام عزه وتأييده على يدى أحمد بن محمد الحاسب سنة سبع وأربعين ومايتين » ( دكتور محمد عبد العزيز مرزوق — الفن المصرى الإسلامى ) .

وقد اثبتت بعض الدراسات التى قام بها علماء الآثار والكتابات الاثرية أن بعض أنواع من الخط الكوفى نشأت وتطورت فى القاهرة أولا ثم انتقلت منها الى غيرها من البلدان الاسلامية المجاورة لها — ذلك أن الخط الكوفى المورق تطور فى القاهرة الى صورة الكوفى المزهر منذ منتصف القرن الثالث الهجرى ( ٩ م ) وان الكوفى المزهر بلغ درجة كبيرة من النضج والتطور فى القاهرة الفاطمية كما يتضح فى الكتابات الكوفية بالجامع الأزهر وجامع الحاكم بأمر الله بالقاهرة .

وقد ظلت القاهرة تستعمل الخط الكوفى بأنواعه الزخرفية المتعددة التى لامعت روحها الفنية طوال الترون الخمسة الهجرية الاولى ( ٧ — ١١ م ) فدونت به المصاحف وأرخت وزخرفت به العمائر كالمساجد وغيرها وكتبت به على عملاتها المختلفة، واستعملته كعنصر زخرفى رئيسى فى تحلية منتجاتها الصناعية والفنية .

ولا يعنى هذا أن القاهرة لم تعرف طوال هذه القرون الخمسة الخط النسخ فالمعروف أن الخط النسخ عاصر الخط الكوفى فى هذه الفترة غير أنه تخلف عنه كخط اثرى تسجيلى واقتصر استعماله على الكتابات اليومية وفى تدوين الكتب الوضعية المختلفة .

وابتداء من القرن السادس الهجرى بدأ الخط النسخ ينافس الخط الكوفي وذلك بفضل ما أدخل عليه من تحسينات كثيرة أضافها اليه خطاطون علماء لأموا بدراسته وفهم أصوله وأشكال حروفه وطوروا هذه الاشكال لتطويرها دائما على أسس وقواعد علمية وضعوها لكل حرف من حروفه ، ومن أبرز هؤلاء الخطاطين الوزير العباسى محمد بن على بن حقله الذى ولد فى سنة ٢٧١ هـ ( ٨٨٦ م ) وتوفى فى سنة ٣٢٨ هـ ( ٩٤٠ م ) ويرجع اليه الفضل فى تهذيب وتطوير حروف خطى الطومار والجليل واستنباط نوع منهما سماه « الخط البديع » هو ما عرف باسم الخط النسخ .

وتعتبر جهود ابن مقلة الشعلة التى أضاعت الطريق لمن جاء بعده من الخطاطين الذين ضمو جهودهم الى جهوده لتطوير الخط النسخ وتجويده ، ومن أشهر هؤلاء الخطاطين « ابن عبد السلام » ومن بعده الخطاط العراقى « على بن هلال » الذى اشتهر باسم « ابن البواب » والذى توفى سنة ٤١٣ هـ ، وقد تعلم على يديه الكثير من الخطاطين الذين بذلوا جهودا كبيرة لتطوير الخط النسخ وتحسينه حتى وصل الى قمة نضجه على يد ياقوت المستعصى الخطاط الشهير الذى عرف باسم « قبلة الكتاب » والمتوفى سنة ٦٩٧ هـ .

ومنذ القرن السادس الهجرى ( ١٢ م ) بدأ الخط النسخ ينافس الخط الكوفى وينتزع مكان الصدارة منه كخط تسجيلى رسمى ، وبلغ من تطور الخط النسخ انه أمكن اشتقاق عدة خطوط منه ذات صفات متميزة مثل خط الثلث

وقد عاشت القاهرة وتابعت منذ اواخر العصر الفاطمى حركة تطوير الخط النسخ ، واستعمل هذا الخط بالفعل لأول مرة على المنسوجات الفاطمية فى عهد الخليفة المستعلى بالله الفاطمى ٤٨٧ هـ - ٤٩٥ هـ ، اذ رسم النساخ البسمل على قطعة من النسيج ( محفوظة بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وتحمل اسم الخليفة ووزيره الأفضل بن بدر الجمالى - رقم السجل ٩٠٧٥ ) بالخط النسخ ثم اكمل النص الكتابى عليها بالخط الكوفى الذى اعتاده من قبل ، غير أن هذا التردد فى استعمال الخط النسخ لم يستمر طويلا اذ وصلتنا بعض قطع المنسوجات من عصر هذا الخليفة أيضا استعملت عليها الكتابة بالخط النسخ وحده .

وقد شهدت القاهرة فى العصر الايوبى مرحلة التحول من استعمال الخط الكوفى كخط رسمى الى استعمال الخط النسخ فى تدوين المصاحف، والكتابة به على العمائر والمنتجات الصناعية والفنية المختلفة التى انتجتها القاهرة فى ذلك العصر . وأصبح الخط الكوفى خطا ثانويا زخريا تكتب به الآيات القرآنية

والعبارات الدعائية في حين حل محله الخط النسخ في الكتابات التسجيلية التاريخية ، ويتجلى هذا في تابوت الامام الشافعى الخشبي الذي ما زال قائما تحت قبته العظيمة بالقاهرة . والذي يعد من اروع ماوصلنا من التحف الخشبية التي صنعتها القاهرة في العصر الايوبي وتزخره حشوة كتابية تضم اربعة اسطر بالخط الكوفي في مقدمة التابوت في حين تزخر نهاية الجزء الهرمي الذي يعلو التابوت كتابة نسخية من سطرين تحمل اسم الصانع «عبيد النجار» المعروف بابن معالى الذي قام بصنع هذا التابوت وتاريخ صنعه له في سنة ٥٧٤ هـ .

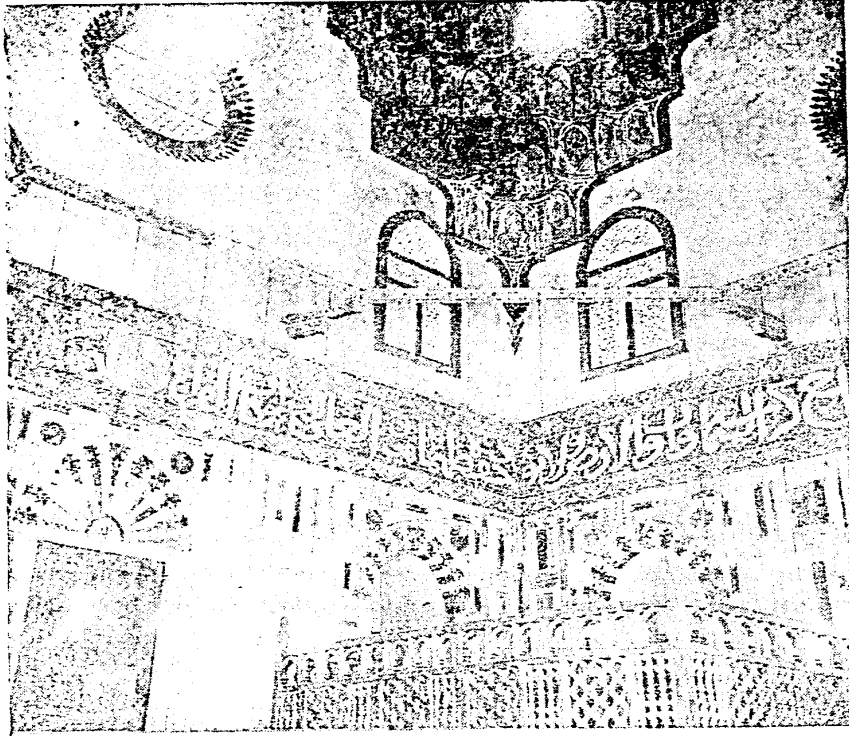
ويعتبر العصر المملوكى بالقاهرة ( من ٦٤٨ هـ — ٩٢٢ هـ ) العصر الذهبى للخط النسخ وخاصة ما عرف من نموعه باسم الخط الثلث .

وقد اهتم سلاطين المماليك بالخط العربى وانشأوا له المدارس لتعليمه وتحسينه ومن امثلتها مدرسة الشيخ شمس الدين الزفتاوى ومدرسة ابن ابي رقية بالقاهرة . وقد عرف عن سلاطين المماليك حبههم للفنون ورعايتهم للفنانين في عصرهم وليس ادل على هذا من كثرة ما وصلنا من عمائر القاهرة المملوكية ومنتجاتها الفنية المختلفة التي ازدانت كلها بالكتابات العربية في اشرطة عريضة وضيقة او داخل دوائر كبيرة وصغيرة نجح الخطاط القاهري في الكتابة بداخلها بخط الثلث . ولقد تميز الخط الثلث في العصر المملوكى بحروفه الكبيرة والفاثات ولاماته المرتفعة التي كانت ترتفع الى اعلى في حين تنبسط حروفه الانقية وتنزل الى اسفل مما حقق لهذا الخط التوازن والتقابل

وقام هذا الخط بدور تسجيلي وزخرفي هام في كل ما انشأته القاهرة من عمائر وما انتجته من مصنوعات فنية منقولة كصناعات الزجاج والمعادن والخشب والخزف وغيرها وبلغ من شهرة القاهرة في هذا الخط ان تميزت منتجاتها الفنية عن المنتجات الفنية المعاصرة لها في كل من ايران وبغداد والمغرب العربى بما كانت تحمله من كتابات بخط الثلث المملوكى .

وعاش الخط الكوفي في العصر المملوكى الى جانب الخط الثلث وادخلت عليه من الزخارف النباتية والهندسية ما جعله يقف الى جوار الثلث ويشتركان معا في زخرفة الكثير من العمائر والمنتجات الصناعية والفنية المختلفة حتى انهما كانا يستعملان في الكتابة على اثر واحد او تحفة واحدة في تناسق جميل وانسجام تام

وعندما دخل الاتراك العثمانيون مصر جلبوا خطوطهم العربية كالخط الديواني والرقعة وخط الاجازة الذي يجمع بين خصائص الخط النسخ والخط



منظر السلطان حسن من الداخل - ٧٦٤ هـ / ١٢٦٢ م

الثلث ، وعاشت هذه الخطوط في القاهرة جنباً الى جنب مع الخط الثلث الذي اعجب به العثمانيون ونقلوه الى بلادهم على ايدي خطاطين مصريين نقلوهم الى تركيا لهذا الغرض .

**مجالات استعمال الخط العربي في القاهرة :**

ويمكننا تقسيم المجالات التي استعملت فيها القاهرة الخط العربي الى ثلاثة اقسام رئيسية :

— الاول : التدوين على اوراق البردي ، ثم الكتابة على الورق في المخطوطات والمصاحف واللوحات الخطية .

الثانى : التسجيل على العماثر المختلفة الدينية كالمساجد والاضرحة ،  
المدارس ، والمدنية كالدور والقصور ، والعماثر الحربية  
كالقلاع والاسوار ، وغير ذلك من انواع العماثر كالاسبله والبيمارستانات —  
وعلى قطع العملة والصنج والاوزان والاختام وغيرها .

الثالث : زخرفة المنتجات الصناعية والفنية التى انتجتها القاهرة من المعادن  
والاخشاب والزجاج والخزف والنسيج والاحجار بأنواعها وغيرها من المواد

ومن الجدير بالذكر ان معظم الكتابات العربية القاهرية كانت تقوم على  
ارضيات زخرفية تضم رسوما دقيقة لأفرع مورقة تتموج فتكون لفائف تغطي  
الارضية التى تقوم عليها الكتابات العربية ، وكانت هذه الارشيات تساعد فى  
بعض الاحيان على ابراز الحروف العربية الكتابية فوقها عندما تكون فى مستوى  
منخفض عن مستوى الكتابة ، كما انها تؤدي فى احيان اخرى الى صعوبة قراءة  
النصوص العربية على غير الخبير بأسرارها وذلك لكثرة العناصر الزخرفية  
التي تملأ الارضية وتكاد تغطي على الكتابة نفسها .

#### الدور الزخرفى للخط العربى :

وقد كانت الكتابات العربية تختلف فى تصميماتها باختلاف اشكال المنتجات  
ومادة صنعها ولهذا كانت الكتابة احيانا تتخذ شكل شرائط افقية عريضة او  
ضيقة تمتد الى مسافات طويلة كما فى كتابات العماثر وخير مثال لها ، الكتابات  
التي تزين حوائط مسجد ابن طولون والجامع الازهر ومسجد السلطان حسن  
وغيرها بالقاهرة :

وفى احيان اخرى كانت تتخذ الكتابات شكلا دائريا تدور فيه حروفا حول  
مركز الدائرة التى تملؤها الكتابة فى حركة دائرية ان دلت على شيء فانما تدل  
على ما وصل اليه الخطاط القامرى من مقدرة كتابية بارعة مكنته من تنفيذ  
كتاباته داخل مناطق دائرية دون اخلال بقواعد الكتابة واصولها وقد شاع هذا  
النوع من الكتابات فى العصر المملوكى ومن امثلته الكتابة الكوفية التى تزخرف  
القرصة العليا لكرسى عشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون المحفوظ بمتحف الفن  
الاسلامى بالقاهرة : ونصها : « عز لمولانا السلطان الملك الناصر  
ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان قلاوون » ، والكتابات الدائرية بخط  
الثلاث التى تزين سقف منطقة الانتقال بقبة مدفن السلطان قلاوون بحى  
النحاسين بالقاهرة والمكتوبة داخل مناطق دائرية صغيرة ونصها : « عز  
لمولانا السلطان الملك المنصور سيف الدنيا والدين قلاوون الصالحى » .

وفي احيان اخرى كانت مساحة الكتابة تضيق ومع هذا لم يعجز الخطاط القاهري عن تنفيذها بكل دقة وانتان مثال ذلك الكتابات على قطع العملة التي كانت تفرض على الخطاط بحكم صغر حجمها ان تكون كتاباته عليها بحروف صغيرة دقيقة .

ويكاد يكون من العسير ان نحصى كل الاشكال والتكوينات التي كتبت بها الكتابات العربية في القاهرة في مختلف عصورها التاريخية .

وكما اختلفت اشكال وهيئات الكتابات العربية القاهرية تعددت كذلك طرق تنفيذها وكتابتها فتارة تكون منحوتة في الحجر او الرخام او الجص او المعدن ومن امثلة هذا النوع من الكتابات المنحوتة كتابات جدران المساجد الحجرية والجصية بالقاهرة والكتابة المحفورة على بدن تمثال عقاب من البرونز من صناعة القاهرة في العصر الفاطمي وما زال يزدان به حتى الآن احد احياء مدينة بيزا الايطالية ومنحوت عليه عبارات دعائية بالخط الكوفي .

كما كانت بعض الكتابات على العمائر تلون بالوان مختلفة مغايرة للون الجدار نفسه لزيادة وضوحها وظهورها .

والى جانب الكتابات المنحوتة والملونة نفذت الكتابات العربية بطريقة النقش المسطح ومن امثلته الكتابات المنقوشة على الخزف والزجاج الموه بالمينا وكلاهما مما اشتهرت بصنعه القاهرة في عصورها المختلفة وخير امثلة هذه المنتجات مجموعات متحف الفن الاسلامي بالقاهرة من الخزف والزجاج التي تزهو بما عليها من كتابات بخطوط متنوعة تصلح ميدانا خصباً لدراسة تطور الخط العربي القاهري كما يتمثل عليها

واشتهرت القاهرة ايضا في العصر المملوكي بتنفيذ الكتابات المختلفة على منتجاتها المعدنية بطريقة التكنيت بالذهب والفضة وذلك بنقش الكتابات اولا على سطح القطع المعدنية ثم حفر هذه الكتابات بحيث تصبح على هيئة شقوق تملأ بعد ذلك بأسلاك الذهب او الفضة التي يدق عليها لتثبت في اماكنها المعدة لذلك ، وقد انتجت القاهرة عددا كبيرا من التحف المعدنية المكفنة وكان من الطبيعي ان تكون مادة التكنيت احدى قيمة من مادة التحفة نفسها فمثلا كان النحاس يكفئ بالذهب والفضة كما كان يراعى ان تكون مادة التكنيت مغايرة في لونها للون مادة التحفة ذاتها لتظهر الزخارف والكتابات المنفذة بالتكنيت على سطح التحفة بوضوح .

ومن اهم التحف المعدنية ذات الكتابات العديدة المكفنة بالفضة والتي وصلتنا من صنع القاهرة في العصر المملوكي كرسى عشاء الملك الناصر محمد السابق

ذكره . ومقلمة نحاسية قاهرية تزدان بكتابات بالخط الكوفى وبخط الثلث باسم السلطان الملك المنصور محمد المتوفى سنة ٧٦٤ هـ (١٣٦٣ م) ومجموعة كبيرة من الشماعد النحاسية وكلها بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة .

ومن الجدير بالذكر أن طريقة تنفيذ الكتابات العربية بالتكفيت على التحف المعدنية المختلفة الشكل ما زالت مستعملة حتى الآن فيما يقوم بصناعتها الفنانون في خان الخليلى بالقاهرة .

ولقد برع الفنانون القاهريون في زخرفة الحروف العربية فزودوها برسوم نباتية وهندسية وحيوانية تتصل بها وتتداخل فيما بينها كما كانوا يشكلون بعض الحروف بهيئات زخرفية محورة ، من ذلك ما شاع في صناعة بعض التحف المعدنية القاهرية في العصر المملوكى من تشكيل الحروف الكتابية على هيئة رسوم آدمية او حيوانية او رسوم طيور مختلفة الاشكال متعددة الحركات .

ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة برقبة شمعدان من النحاس المكثت بالفضة صنعت باسم الامير كتبغا الذى تولى الامارة في عهد كل من المنصور قلاوون والناصر محمد والاشرف خليل ، وتزدان هذه التحفة بكتابة اتخذت حروفها اشكال رسوم آدمية وحيوانية في حركات مختلفة وقد تمكن استاذنا الدكتور حسن الباشا من قراءة هذه الكتابة ودراستها دراسة مفصلة ونصها :

« وللايمر العزاء والبقاء والظفر بالاعداء »-

وانش التعلق بالخط العربى واستخدامه كعنصر زخرفى بصفة رئيسية الى استغلال الحروف العربية المجردة كوسيلة للزخرفة دون أن تكون هذه الحروف نصوصا كتابية وكانت هذه الوسيلة الخطية الزخرفية تستخدم غالبا في زخرفة اطارات التحف المختلفة والشرائط الزخرفية الضيقة .

#### الدور التسجيلى للخط العربى فى القاهرة

واذا كان للخط العربى دوره الزخرفى الهام فان دوره التسجيلى لاسبيل الى انكاره او التقليل من اهميته ، ذلك ان ماقدمته الكتابات العربية الاثرية بخطوطها المختلفة على عمائر القاهرة ومنتجاتها الصناعية والفنية ومخطوطاتها التى وصلتنا يعتبر من المصادر التاريخية والفنية الرئيسية لدراسة المجتمع القاهرى من جميع نواحيه السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية على السواء ( دكتور حسن الباشا - الفنون الاسلامية والوظائف على الآثار العربية ) .





مصحف السلطان شمعان - الفاتحة - ٧٧ هـ / ١٢٦٩ م (دار الكتب المصرية)

فقد أفادت الكتابات العربية المسجلة علماء التاريخ والآثار في الوقوف على نواح كثيرة أهملتها كتب التاريخ والتراجم فضلا عما تؤكد هذه الكتابات الأثرية من حقائق تاريخية قد يكون مشكوكا في صحتها .

كما أفادت أيضا في التعرف على الوظائف المختلفة واللقاب العديدة التي كان يتلقب بها السلاطين والأمراء والتي كان لكل منها دلالة خاصة تميزه عن غيره ، وأفادت الكتابات الأثرية في التعرف على الشؤون الإدارية والسياسية بما كانت تشتمل عليه من تسجيل لأعمال الملوك والسلاطين وأوامرهم إلى ولاتهم على الأقاليم ، كما أن تسجيل أسماء بعض الصناع والفنانين على ما يصنعونه من منتجات مختلفة أفادتنا في التعرف على هؤلاء الصناع وحرفهم المختلفة وطوائفهم الصناعية ، ويفيدنا هذا في الوقوف على الحالة الصناعية والتجارية في القاهرة في عصورها المختلفة وهو الأمر الذي لم تتناوله الكتب التاريخية والأدبية القديمة بتفصيل كاف . ومن ذلك ما امدتنا به الكتابات الأثرية من أسماء بعض النجارين المصريين مدونة على شواهد قبورهم كابن نادى وبلال وخلف بن بشير وغيرهم وأسماء بعض صناع المساند ومن أهمهم وأبرزهم في العصر المملوكي « الأستاذ محمد بن سنقر البغدادي السنكري » الذي ورد توقيعه بهذا الشكل في نص كتابي بخط الثلث على كرسي عشاء الملك الناصر محمد بمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ونص هذه الكتابة .

« عمل العبد الفقير الراجي عفو ربه المعروف بابن المعلم الأستاذ محمد ابن سنقر البغدادي السنكري وذلك في تاريخ سنة ثمان وعشرين وسبعمائة في أيام مولانا الملك الناصر عز نصره » .

وورد اسم هذا الصانع على صندوق لحفظ القرآن الكريم محفوظ بمتحف برلين وبجانب اسمه اسم المطعم « الحاج يوسف بن الغوابي » .

كما وصلنا اسم أنصانع أحمد بن بارة الموصلى الذي عمل في خدمة السلطان الملك الناصر محمد أيضا ، إذ سجل اسمه على صندوق مماثل لحفظ المصحف الشريف وتحفظ به مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة ونص توقيعه المؤرخ كالأتي .

« من صنع أحمد بن بارة الموصلى في شهور سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة » .

وأمدتنا الكتابات العربية القاهرية على الخزف ذي البريق المعدني — الذي انتشر في العصر الفاطمي — بأسماء عدد من الصناع الخزافين مثل مسلم ، وسعد ، وطبيب على ، وأبراهيم المصري ، والدهان ، والحسيني وغيرهم وقد أفادتنا الكتابات الأثرية أيضا في التعرف على أسماء بعض الخطاطين المصريين

ونماذج من اعمالهم الخطية ومن امثلتهم الخطاط المصرى « مبارك المكي » الذى اشتهر بالكتابة الكوفية المزهرة المحفورة على الحجر فى صنع شواهد القبور التى يحتفظ متحف الفن الاسلامى بعدد كبير منها . وبالإضافة الى هذا تقوم الكتابات العربية المؤرخة على المنتجات الفنية المختلفة بدور هام فى تاريخ القطع الفنية الغير المؤرخة وذلك بحسب اسلوبها الصناعى والفنى واسلوب خطها ان كانت تضم كتابات عربية غير مؤرخة - اذ يمكن بمقارنتها بالقطع المؤرخة التوصل الى اقرب تاريخ يمكن ارجاعها اليه .

وقد ساعد مضمون هذه الكتابات فى تأريخ بعض القطع تاريخا صحيحا ، ومن امثلة ذلك الطبق المصنوع من الخزف ذى البريق المعدنى والذى يحتفظ به متحف الفن الاسلامى ويدور حول حافته اطار كتابى بالخط الكوفى يحمل اسم « استاذ الاستاذين قائد القواد غين مولا امير المؤمنين الحاكم بأمر الله » ولم تذكر الكتابة تاريخا لصنع هذا الطبق ، غير ان ورود لقب قائد القواد افاد فى تاريخ صناعة هذا الطبق بالفترة التى تقلب فيها « غين » منصب قائد القواد من ربيع الآخر سنة ٤٠٢ هـ ( نوفمبر ١٠١١ م ) الى جمادى الاولى ٤٠٤ هـ ( نوفمبر ١٠١٢ م ) دكتور حسن الباشا - طبق غين ) .

والحق انه من الصعب حصر النتائج التى تقودنا اليها الكتابات الاثرية والمجالات الدراسية التى تفتحها هذه الكتابات غاية الامر

انه مما لا شك فيه ان الكتابات الاثرية التى امدتنا بها القاهرة لا يقتصر مجال دراستها على علماء الاثار والتاريخ فصعب بل انها احدى المصادر التاريخية ان لم تكن اهمها للباحثين فى حضارة القاهرة وحياتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفنية .

**الفصل الثالث**  
**الفنون التطبيقية**  
**الإسلامية**

ويعنى بها الفنون والصناعات التى تطبق أى تنفذ على المواد المختلفة كفنون المعادن والأخشاب والزجاج والفخار والخزف والجلود والورق والنسيج والسجاد والأحجار بأنواعها جميعا .

وكانت منتجات هذه الصناعات والفنون تلبي حاجات الإنسان المختلفة من أنية للطعام والشراب وأدوات ومعدات وأسلحة ونقود وقطع أثاث ووسائل اضاءة وأغلفة كتب والكتب نفسها والوثائق والحجج والملبوسات والفرش وسجاجيد الصلاة وأخرى للاستخدامات الأخرى وغير ذلك من مستلزمات الحياة العادية .

وتدلنا القطع والتحف الأثرية التى وصلتنا من البلدان الإسلامية المختلفة والعصور الإسلامية المتعاقبة على التطور الكبير الذى حققته وبلغته هذه الصناعات والفنون ، فقد نجح الفنانون والصناع فى ابتكار طرق صناعية وزخرفية جديدة ، بالإضافة إلى الطرق التى ورثوها من الحضارات السابقة على حضارتهم والتى أضافوا إليها من عندهم طرقا ووسائل جديدة لتزيينها وتطويعها لكل ما استخدموه من مواد .

وكانت المواد المستخدمة تتراوح بين الصلابة كالنحت فى الحجر والحفر على المعادن والليونة كالحفر والحز فى الخشب ، كما كان التفاوت ملحوظا بين منتجات كبيرة الحجم كزخرفة باب أو صندوق أو ثريا من معدن ، ومنتجات صغيرة كزخرفة نصل سيف أو خنجر دقيق الحجم أو كتابة على قطعة منسوجة صغيرة .

كما نجحوا فى تشكيل منتجاتهم بهيئات متنوعة مستطيلة أو مربعة أو كروية ، مستوية السطح أو منحنية ، وفى صناعتها وزخرفتها بطرق لا تعد ولا تحصى من حفر ونحت على الحجر ، وتلوين وتمويه بالميना على الزجاج وتطريز وطبع وصيغ على النسيج ، وتكفيت وتخريم للمعادن ، وتطعيم وقطع للخشب ، وطلاء فوق الدهان وأسفله على الخزف ، وإضافة للفخار ، وضغط وقطع للجلود ، ونسج بالعقدة وتوشيه للسجاد ، وغير ذلك من الطرق الصناعية والزخرفية التى أجادها الصناع والفنانون فى المجتمع الإسلامى .

وتحتفظ المتاحف العالمية بعدد كبير من التحف الأثرية الإسلامية ومن أهمها متاحف البلدان العربية الإسلامية كمتحف الفن الإسلامي بالقاهرة ، ومتحف دمشق الوطنى ، ومتحف بغداد ، ومتحف قصر جلستان بطهران ومتحف الفن الاسلامى والتركى ومتحف طوبقابى سراى باستانبول ، وكذا متاحف البلدان الأخرى غير العربية أو الإسلامية حيث تخصص للتراث الفن الاسلامى الذى تفتتبه متاحف متخصصة أو قاعات وأقسام بمتاحفها الكبيرة ومن أمثلتها قسم الشرقيات بمتحف اللوفر بباريس ومثله بكل من المتحف البريطانى ومتحف فكتوريا وألبرت بلندن ، ومتحف أمتروبوليتان بنيويورك ، ومتحف تاريخ الفن بفينا ، ومتحف بناكى بأثينا ، ومتحف الفن الإسلامى ببرلين ومتحف الفنون الجميلة بمدينة بوسطن بأمريكا ، ومتحف الهرميتاج بمدينة ليننجراد بروسيا وغيرها .

ومن الجدير بالذكر والملاحظة فى ضوء ما وصلنا من تحف وأعمال أثرية إسلامية أن الفن الواحد ، أو الصناعة الواحدة كان يتسع لعدة طرق صناعية وزخرفية تقف وراء تشكيل منتجاته وصناعاتها وزخرفتها ، وهو ما سنتعرف عليه فى الصفحات التالية من اختيار فن المعادن وصناعاتها بمصر كمثال من بين الفنون الإسلامية العديدة التى لا يتسع المجال فى هذه الدراسة لذكرها وشرحها جميعا .

## فن المعادن الإسلامي

**استمرت القاهرة** في طول تاريخها بالصناعات المعدنية من مختلف المواد التي توفرت بها ، وامتدنا بكثير من منتجاتها المعدنية المتنوعة الاشكال كما تنوعت بها طرق الصناعة واساليب الزخرفة .

ويعتبر الذهب والفضة والنحاس الاحمر اهم المعادن الخام التي استعملتها القاهرة في صناعة منتجاتها المعدنية ، كما عرف حناها استعمال المعادن المكونة من اكثر من مادة مثل النحاس الاصفر والبرونز وكلاهما شاع استعماله في صناعة المنتجات المعدنية المختلفة ، ويتكون النحاس الاصفر من اضافة الزنك الى النحاس الاحمر بنسبة معينة ، في حين يتكون البرونز من خلط كمية من القصدير بكمية من النحاس الاحمر بنسبة معينة أيضا ، وقد استعملت هذه المعادن ومشتقاتها بكثرة في صناعة الاواني المنزلية وغيرها ، أما الحديد فقد استعمل في صنع بعض انواع من الاسلحة والدروع والادوات الصغيرة .

وتعددت طرق صناعة التحف المعدنية القاهرية ويرجع هذا من جهة لطبيعة التطور الفني والصناعي الذي سارت فيه هذه الصناعة في المراحل التاريخية المتعاقبة ، ومن جهة أخرى لاختلاف نوع المعادن المستعملة واشكال منتجاتها ، وبالإضافة للعامل التاريخي والعامل الصناعي كان للعامل الاقتصادي اثره في الصناعات المعدنية بالقاهرة من حيث الكم والكيف .

### العصر الفاطمي :

وفي العصر الفاطمي اجاد صناع القاهرة استعمال عدة طرق في صناعة المنتجات المعدنية المختلفة اهمها الصب والطرق ، وتتلخص طريقة الصب في

اعداد قوالب معينة من المعدن تتخذ نفس الشكل المراد تنفيذه — ثم يصب فيه المسن فريتشكل مثله — وبعد تجمد المعدن تجرى عملية الزخرفة على سطحه ومما يذكر ان هذه الطريقة لا تستعمل فى كل المواد المعدنية واغلب استعمالها فى مادتى البرونز والنحاس ، اما الذهب والفضة فاكثر استعمالهما كان للزخرفة وليس لصنع المنتجات المعدنية منهما ، وتستعمل طريق الصب فى صناعة التحف والتماثيل الصغيرة التى تتخذ شكل حيوان او طائر اما طريقة الطرق فهى احدى العمليات الصناعية التى تمر بها التحفة المعدنية حتى تصل الى شكلها النهائى — وتتم بوضع الواح المعدن على السندال المصنوع من الحديد والمنتهى عند طرفه بجزء من الصلب ليتحمل عملية الطرق — ثم يطرق المعدن بطريقة تشبه « الجاكوش » الصغير الذى يستعمله الصناع حاليا ، والهدف من عملية الطرق تجميع ذرات المعدن حتى يكتسب مزيدا من الصلابة من جهة ، واعطاؤه الشكل المراد تنفيذه من جهة أخرى ، وبعد هذه العمليات الصناعية التى ينتج عنها تشكيل المعدن فى صورة الاناء او التمثال المراد صنعه تنعم التحفة حتى تصبح ملساء وينظف ما قد يكون عالقا بها من شوائب او زيادات حتى تصبح معدة لاجراء الزخارف المختلفة على سطحها .

كما تعددت طرق الصناعة لدى صناع القاهرة فى العصر الفاطمى تعددت ايضا طرق الزخرفة ، فقد اجاد صناع القاهرة عدة طرق زخرفية أهمها الحز والترصيع بالمينا .

والحز هو اجراء حزوز او نقوش خفيفة غير غائرة على سطح المعدن وفقا لرسم معين يعده الصانع قبل تنفيذه ثم يقوم بنقله على سطح المعدن تمهيدا لحزه بآلة الحز الخاصة ذات النهاية المدببة التى تشبه آلة « الزنبه » التى يستعملها الصناع الحاليون .

ويختلف الحفر عن الحز فى انه اكثر غورا وعمقا فى سطح المعدن ، وقد يكون الحفر بارزا وفى هذه الحالة يقوم الصانع بحفر ما حول الاجزاء التى يريد اظهارها بارزة ، واما طريقة الترصيع بالمينا فتقوم على اساس صب المينا فى فصوص معدنية صغيرة اشبه ما تكون بالقوالب ، وبعد حرقها فى فرن خاص تلتصق هذه الفصوص على سطح المعدن فى الاماكن المخصصة لها حسب الزخارف — وفى هذه الحالة تكون زخارف المينا بارزة قليلا عن سطح المعدن — والمينا عبارة عن مادة كالزجاج يمكن اذابتها مع بعض الاكاسيد للحصول على ألوان مختلفة منها فمثلا اذا اضيف اليها اكسيد القصدير اعطتنا اللون الابيض واذا اضعفنا اليها اكسيد النحاس نحصل على المينا الخضراء وهكذا ، وهناك



طريقة أخرى للترصيع بالمينا أسهل من الطريقة الأولى وتتلخص فى حفر الرسوم المراد زخرفتها حفرا عميقا على سطح التحفة ثم تصب فى الاماكن والشقوق المحفورة مادة المينا وبعد حرقها فى فرن خاص نحصل على المينا البراقة الالوان وقد استعملت المينا بكثرة فى زخرفة قطع الحلى الذهبية التى صنع منها الكثير للخلفاء الفاطميين بالقاهرة أو لذويهم ، وان كان ما وصلنا منها قليل جدا .

وقد كشفت الحفائر الاثرية بالقسطاط عن بعض القطع الذهبية والفضية المزخرفة بالمينا التى صنعت بالقاهرة ، ومن أمثلتها القرص الذهبى المستدير الذى يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ، اذ تغطى المينا وجهه المقعر والمقسم الى ثلاثة اقسام افقية : القسم الاوسط اعرضها ويضم كتابة كرفية باللون الابيض على ارضية سنجابية اللون ، ونص الكتابة عبارة « الله خير حافظا » وتزخرف كلا من الشريطين الآخرين رسوم نباتية باللون الاحمر على ارضية خضراء اللون .

وقد اطلب كثير من المؤرخين والرحالة القدامى الذين زاروا مصر فى وصف ما كانت تضمه القصور الفاطمية بالقاهرة من اوانى وادوات معدنية وقطع حلى ذهبية وفضية كثيرة ، وللأسف الشديد لم يصلنا الكثير من المنتجات المعدنية الفاطمية وربما يرجع ذلك الى ما كانت تتعرض له التحف المعدنية على مر العصور من اعادة صهرها وتشكيلها من جديد .

ومع هذا فقد وصلنا عدد لا بأس به من التحف المعدنية التى امكن نسبتها الى صناعة القاهرة فى العصر الفاطمى حسب شكلها وطريقة صناعتها وأسلوب زخرفتها وتنقسم هذه التحف الى نوعين رئيسيين :

الاول عبارة عن مجموعة من التماثيل البرونزية الصغيرة والتى يتخذ الواحد منها شكل حيوان أو طائر أو انسان وكانت تستعمل كباخر أو صنادير لآنية المياه أو اجزاء من الادوات وبخاصة النافورات المائية ( الفسقيات ) التى كانت تزود بها الدور والقصور الفاطمية بالقاهرة ، كما انه لا يستبعد استعمال بعض هذه التماثيل للزينة فقط .

ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بعدد من التحف من هذا النوع احداها على هيئة اسد وقد صنع من البرونز ، وتحفة أخرى تتخذ هيئة ظبى وكلاهما تزخرفه رسوم نباتية محفورة حفرا بارزا وغائرا ، كما يحتفظ المتحف البافارى بمدينة ميونخ بتحفة من هذا النوع عبارة عن تمثال مجوف من البرونز يتخذ هيئة حيوان الابل ، وتزخرفه رسوم نباتية

وكتابة كوفية وكلها منفذة بطريقتى الحفر والحز ، ويقتنى كل من متحف برلين واللوفر والمتحف البريطانى نماذج من هذه التحف الفاطمية .

والى جانب التماثيل عرف صناع المعادن الفاطميون الادوات المعدنية المختلفة وربما كان اهمها مناخد البرونز التى استعملت لحمل الشماعد او المسارج او المباخر فوقها ، او لغرض الزينة فقط وذلك لما تتمتع به من شكل زخرفى جميل ، ويحتفظ متحف الفن الاسلامى بالقاهرة بثلاث مناخد من هذا النوع احدها تزخرف قاعدته رسوم نباتية وكتابات كوفية داخل اطار يدور حول اضلاع القاعدة ، كما يضم كتابة فوق قرصه العلوى تقرا : « عمل بن المكي » وهى بهذا تدلنا على اسم صانع هذه المنضدة .



— تمثال أسد من البرونز — القرن السادس الهجرى / ١٢ م  
( متحف الفن الاسلامى بالقاهرة )

ولم يكن انتاج القاهرة فى العصر الفاطمى من التحف المعدنية قاصرا على النوعين السابقين ذلك أنه قد وصلتنا تحف معدنية ذات اشكال ووظائف أخرى ومن أمثلتها هاون محفوظ بمتحف برلين تزخرفه كتابة كوفية وزخارف نباتية ورسوم طيور وقد نفذت كلها بطريقة الجفر، كما صنعت فى هذا العصر ايضا الصوانى البرونزية والنحاسية ومن أمثلتها الصينية التى يحتفظ بها المتحف

نفسه وهى من البرونز وذات شكل غريب اذ يتألف اطرافها الخارجى من دوائر صغيرة تتخللها اطراف مدببة الشكل ، وتزخرف وسط الصينية وبعض الدوائر رسوم هندسية متشابهة محفورة وتزخرف الدوائر الاخرى رسوم طيور نفذت بطريقة الحفر ايضا وباستمرار الامثلة السابقة للمنتجات المعدنية التى تنسب لصناعة القاهرة فى العصر الفاطمى يتضح لنا ان اكثر المعادن المستعملة فى صناعتها البرونز ويليه النحاس ، وان اكثر الطرق الزخرفية استعمالا طريقة الحز والحفر ( زكى محمد حسن - فنون الاسلام ) .

#### العصر الايوبى :

على الرغم من الحروب التى شغلت القاهرة فى العصر الايوبى فان عجلة الانتاج الصناعى والفنى لم تتوقف وامتدت القاهرة بالكثير من التحف والمنتجات المعدنية التى تدلنا على استمرار التطور فى الصناعات المعدنية من حيث تنوع اشكالها ودقة صناعتها وكثرة زخارفها التى بدأت فى هذا العصر تنفذ بطريقة جديدة لم تقابلنا من قبل فى الصناعات المعدنية القاهرية ونقصد بها طريقة التكنيت ، وتتخلص هذه الطريقة فى رسم الزخارف على سطح التحفة المعدنية اولا ثم تحفر هذه الرسوم حفرا عميقا وتملا الاجزاء المحصورة بمادة التكنيت التى تكون غالبا اظلى قيمة من المادة التى صنعت منها التحفة فمثلا كان النحاس الاصفر يكتن بالفضة وكذا البرونز ، وتعد مادة التكنيت فى صورتين :

الاولى على هيئة رقائق دقيقة تستعمل فى زخرفة المناطق الكبيرة او المريضة ، والثانية على هيئة اسلاك رفيعة تستعمل فى زخرفة الاجزاء الصغيرة او الضيقة من الزخارف . وفى كلتا الحالتين تنزل مادة التكنيت فى الاجزاء المحفورة على سطح التحفة بواسطة الدق فوقها بمطرقة خشبية غلابة لتثبت مادة التكنيت فى الاماكن المنسقة لها .

وقد وصلت هذه الطريقة الصناعية الفنية الى مصر فى القرن السابع الهجرى ( ١٣ م ) من ابران والعراق حيث هاجر الصناع منهما امام اغارات المغول على تلك البلدان ، وسرعان ما اختلط هؤلاء الصناع بصناع البلاد التى هاجروا اليها واستقروا بها فى مصر والشام ، وفى القاهرة اندمج الصناع الوافدون بالصناع المصريين الذين ما لبثوا ان تعلموا الاسلوب الصناعى الزخرفى الجديد واجادوه والدليل على ذلك كثرة ما وصلنا من التحف المعدنية القاهرية المكفنة بالذهب والفضة والمحفوفة فى كثير من المتاحف العالمية ، ولم تقض طريقة التكنيت على الطرق الصناعية والزخرفية الاخرى التى كانت سائدة فى القاهرة منذ العصر الفاطمى ، ذلك ان العصر الايوبى امدنا بمتحف معدنية

عديدة غير مكففة نذكر منها على سبيل المثال الباب الخشبي الخاص بقبة الامام الشافعى التى بناها السلطان صلاح الدين سنة ٥٧٢ هـ ( ١١٧٦ م ) والمحفوف حاليا بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة . وقد يعجب القارئ من التمثيل بهذا الباب الخشبي فى مجال دراستنا للصناعات المعدنية ، ولكن اذا علمنا ان صناعات القاهرة قد حذقوا فن تصفيح الابواب الخشبية بطبقة من النحاس المزخرف يشتمل انواع الزخارف الاسلامية ، لادركنا السبب من ذكر هذا الباب الذى يتكون من مصراعين كبيرين تغطيهما من الخارج صفائح النحاس التى تحليها الزخارف النحاسية البارزة التى تتخذ اشكالا هندسية صغيرة تبرز قليلا عن سطح الباب ( دكتور محمد عبد العزيز مرزوق — الفن الاسلامى فى العصر الايوبى ) .

وفى مجال تصفيح وتكسية الخشب بطبقة من المعدن نجح الصانع القاهري فى العصر الايوبى فى تغطية قبة الامام الشافعى الخشبية من الخارج بطبقة من الرصاص فاصبحت بذلك اول قبة معروفة من نوعها تصنع من الخشب وتكسى بالرصاص .

والحديث عن قبة الامام الشافعى يدعونا للإشارة الى تلك المركب النحاسية الصغيرة المثبتة فى خلالها والتى يعتقد انها رمز لعلم الامام الشافعى الغزير الذى يفترف منه طلاب العلم ورواده وكأنهم ينهلون من بحر زاخر بالمعلوم .

ومن التحف المعدنية الاخرى التى انتجتها القاهرة فى العصر الايوبى تلك الاواني النحاسية التى كان يعتقد فى مقدرتها على شفاء بعض الامراض ومن ثم كثر استعمالها لهذا الهدف ويقصد بها الطاس السحرية او طاسة الخضة كما يسميها العامة . واطلاق هذا الاسم عليها قد يكون سببه انها استعملت اولاً فى علاج الامراض الخصبية وبمرور الزمن شاع استعمالها لعلاج الامراض جسيما وان احتفظت باسم وظيفتها الاولى . وقد وصلت عدة طاسات من هذا النوع من صناعة القاهرة فى العصر الايوبى ، ومن امثلتها الطاس التى يحتفظ بها متحف الفن الاسلامى بالقاهرة والمؤرخة بسنة ٥٨٠ هـ ( ١١٨٤ م ) وتضم كتابة تشرح وظيفتها ومن انها كانت « تستعمل للشفاء من لسعة الحية والعقرب وعضة الكلب والمفص ولابطال السحر والعين والنظرة ولنكد الاطفال » .

وكانت تتصل بهذه الطاسة سلسلة تضم قطعاً صغيرة من الحديد تعرف باسم المفاتيح ، ولاستعمال هذه الطاسة كانت تملا بالماء وتترك معرضة للجو طوال الليل وفى الصباح يشرب المريض او المصاب ماءها ويتكرر هذا ثلاث او سبع

ليال وقد يمتد لاربعين ليلة حتى يتم شفاؤه ، ومن هنا كان لهذا الطاسات قيمة كبيرة عند من يمتلكها ( المرجع نفسه ) .

وقد تمثلت مهارة الصانع القاهري في مجال آخر من مجالات صناعة المعادن غير المكفنة في العصر الايوبي ونقصد به استعمال «مصبغات» النحاس المفرغ في سد نوافذ بعض المساجد والمدارس ، وكانت هذه « المصبغات » تتخذ تكوينات هندسية منتظمة ان دلت على شيء فانما تدل على مهارة الصانع القاهري ، ومن أمثلتها « المصبغات » التي تشغل نوافذ قبة السلطان الصالح نجم الدين ايوب بشارع بين القصرين (حاليا شارع المعز لدين الله ببحى الجمالية بالقاهرة) .

هذا عن المصنوعات المعدنية غير المكفنة التي أمدتنا بها القاهرة في العصر الايوبي ، وقد انتجت القاهرة في العصر نفسه الكثير من المنتجات المعدنية المكفنة ذات الاشكال المختلفة والوظائف المتعددة مثل الشماعد والوانى والاباريق والطشوت والمباخر وغيرها ، ويحتفظ متحف بوسطن بأمريكا بشمعدان نحاسي مكفئ بالفضة من صناعة القاهرة ومؤرخ بسنة ٦٢٢ هـ ( ١٢٢٥ م ) اى من عهد السلطان الكامل الايوبي ، والشمعدان غنى بالزخارف النباتية المورقة ( الارابيسك ) وبرسوم الكائنات الحية والرسوم الادمية بالاضافة لاشتماله على كتابة بخط النسخ واخرى بالخط الكوفى ، ومن الجدير بالذكر ان العصر الايوبي هو العصر الذى تبوأ فيه الخط النسخى مكانته الجديدة كخط اثرى بجانب الخط الكوفى ولهذا لا نعجب اذا رأينا الكثير من التحف المعدنية الايوبية والملوكية ايضا فيما بعد تجمع بين الشرائط الكتابية الكوفية والنسخية جنباً الى جنب .

وقد انتجت القاهرة الايوبية عدداً من الاباريق النحاسية المكفنة بالفضة والفنية بزخارفها المتنوعة ، ومن أمثلتها الابريق الذى يحتفظ به متحف المتروبوليتان بنيويورك وهو مؤرخ بسنة ٦٢٣ هـ ( ١٢٢٦ م ) ويحمل بين كتاباته توقيع صانعه « عمر ابن الحاج جلدك غلام احمد الذكى » وتزين سطحه رسوم آدمية واشكال هندسية وزخارف نباتية وكتابات عربية .

كما وصلنا عدد لا بأس به من الطشوت النحاسية المكفنة بالفضة والتي ترجع الى صناعة القاهرة في العصر الايوبي ومنها طشت محفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة باسم السلطان الصالح نجم الدين ايوب درستة السيدة وفية عزى في بحث لها . وتزخرف هذا الطشت من الداخل رسوم آدمية

وأشكال حيوانية وتزين قاعه صور الكواكب السماوية — أما كتاباته  
النسخية فتضم القاب السلطان المذكور .

ومن التحف المعدنية الهامة التى انتجتها القاهرة فى العصر الايوبى مبخرة  
تحمل كتابة باسم السلطان المعادل الثانى — عرضت فترة بمتحف الفن  
الاسلامى بالقاهرة — ومصنوعة من النحاس المكفت بالفضة الا ان غطاءها تزيينه  
خروم كثيرة موزعة توزيعا زخرفيا — والتخريم احدى الطرق القديمة التى  
استعملها صناع القاهرة فى زخرفة بعض المنتجات المعدنية ، واستعمال هذه  
الطريقة فى زخرفة المبخرة أمر تحتّمه وظيفة المبخرة اذ تساعد هذه الخروم على  
تسرب رائحة الطيب والبخور منها وانتشارها فى أرجاء المكان الموضوع به .

#### العصر المملوكى :

ويعتبر العصر المملوكى العصر الذهبى للصناعات المعدنية فى القاهرة اذ  
وصلت فيه منتجاتها الى قمة نضجها الصناعى والفنى وساعد على ذلك رعاية  
السلاطين المماليك للفن والفنانين فى عصرهم مما كان له اكبر الاثر فى كثرة ما  
انتجته القاهرة من الصناعات المعدنية التى اتسمت بدقة صنعها وغنى زخارفها  
بالكثير من العناصر النباتية والهندسية ورسوم الكائنات الحية الادمية  
والحيوانية ورسوم الطير المخلق بجناحيه فى الهواء مما كان يضاف على  
الزخارف حياة وحركة تلمسها فى معظم ما وصلنا من تحف هذا العصر  
المعدنية، وقد تميزت الصناعات المعدنية القاهرية بكثرة ما عليها من كتابات  
عربية بالخط الكوفى الزخرفى والخط النسخى وخاصة خط الثلث الذى يعتبر  
احد فروع المشتقة منه ، وتعتبر الكتابات العربية بصورها المختلفة احدى  
الخصائص الهامة التى ميزت المنتجات المعدنية القاهرية فى العصر المملوكى عن  
تلك المعاصرة لها فى كل من ايران والعراق مثلا ، ولم تتميز القاهرة فى هذا  
العصر بكثرة وتنوع منتجاتها الصناعية والمعدنية فقط بل تميزت ايضا بتعدد  
طرق صناعتها واساليب زخرفتها

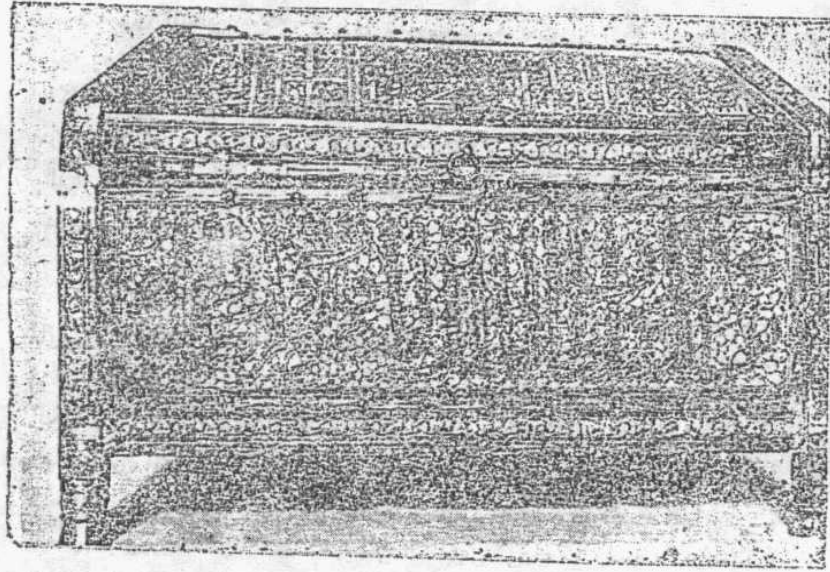
وقد أمدتنا القاهرة بالكثير من الاوانى والشماعد والمباخر والصوانى  
وكراسى العشاء والثريات والمقلمات وغيرها من التحف ، كما اجادت فن تصفيح  
الابواب وصناديق المصحف الخشبية بتغطيتها بطبقة من النحاس المحفور  
والمكنت

ومن الجدير بالذكر ان نشير الى ان القاهرة فى العصر المملوكى ضمت بين  
اسواقها الصناعية والحرفية المتعددة سوقا لصناعة الكفت والتكفيت كان يعرف

باسم سوق الكفتيين وكان يقع في الشارع الممتد من الحورية إلى الأزهر ،  
وفيه يجتمع أرباب الصناعة في حوانيتهم المتجاورة ويصنفون المنتجات المعدنية  
المكففة ، وقد أشار المقرئ في خطه إلى هذا السوق وإلى ما شاع في القاهرة  
من رواج كبير وأقبال عظيم على شراء واقتناء المصنوعات النحاسية المكففة  
بالذهب والفضة حتى أنه « لا تكاد دار تخلو بالقاهرة ومصر من عدة قطع  
نحاس مكفت » ( الخطط ج ٢ ) .

وبجانب المكفيت الذي ذاع وانتشر لم ينس صناع القاهرة طريقتهم التقليدية  
الموزونة في صناعة وزخرفة منتجاتهم المعدنية من حز وحفر ونقش وتخريم ، كما  
أجادوا وارتقوا بصناعة التصفيح ومن أجمل الأمثلة باب خانقاه بيبرس  
الجاشنكير الذي أنشأها بالقاهرة سنة ٧٠٩ هـ ( ١٣١٠ م ) وتجتمع في هذا  
الباب أكثر من طريقة صناعية زخرفية إذ تنتشر على سطحه زخارف هندسية  
وأطباق نجمية متعددة وموزعة توزيعا زخرفيا جميلا وقد نفذت كلها بطريقة  
الحفر البارز والغائر . أما الشريطان الكتابيان في أعلاه وأسفله فقد نفذهما  
الصانع القاهري بطريقة المكفيت بالفضة وتضم هذه الكتابات اسم السلطان  
ركن الدين بيبرس الجاشنكير ( زكى محمد حسن - فنون الاسلام ) .

ومن المنتجات الخشبية الأخرى التي كانت مجالا خصبا للتصفيح صناديق  
المصحف الشريف التي أمدتنا القاهرة بعدة أمثلة منها بعضها محفوظ بالقاهرة  
والبعض الآخر في المتاحف الأجنبية ، ففي مكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة  
صندوق مصحف مغطى بطبقة من النحاس المكفت بالفضة وتزخره كتابات  
مكففة بالفضة بالخط الثلث والخط الكوفي على أرضية غنية بالزخارف النباتية  
المورقة والمزهرة ، ويضم هذا الصندوق بين كتاباته نصا  
باسم الملك الناصر محمد ، ونصا ثانيا يتضمن اسم صانعه أحمد بن بارة  
الموصلى وتاريخ صنعه سنة ٧٢٢ هـ ( ١٣٢٢ م ) كما يحتفظ متحف الفن  
الإسلامي بالقاهرة بصندوق مصحف من الخشب ومصفح أيضا بالنحاس المكفت  
بالفضة ويذكر هذا الصندوق أيضا بالآيات القرآنية التي كتبت بخط الثلث  
وبالخط الكوفي المورق إلا أنه لا يحمل أى نص تاريخي يمكن معه تأريخه وإن  
كان هذا الصندوق يتشابه مع صندوق آخر محفوظ بمتحف برلين ومصدره أحد  
مساجد القاهرة وهو أيضا من الخشب المسفح بطبقة من النحاس المكفت ،  
وتزخره آيات قرآنية مكففة بالفضة والذهب بالخط الثلث والخط الكوفي المورق  
على أرضية نباتية مكففة أيضا ، إلا أن هذا الصندوق يمتاز على شبيهه صندوق  
متحف الفن الإسلامي بالقاهرة بأنه يضم كتابة مكففة بالذهب والفضة على  
مفصل قنله نصها: « عمل محمد ابن سنقر البغدادي » وعلى الجزء الأسفلين



— صندوق مصحف من الخشب المصنوع بالنحاس المكتبة بالقاهرة  
باسم الناصر محمد بن قلاوون عليه توقيع صانعه أحمد بن باره الموصلی  
سنة ٧٢٢ هـ — ١٢٢٢ م ( مكتبة الجامع الأزهر )

المفصل نص آخر : « تطعيم الحاج يوسف بن الغوابی » . ويدلنا هذا على اسم الصانع الذى قام بصنع الصندوق أو تصفيحه وعلى اسم المطعم الذى قام بتكنيته وهذا مما يساعدنا فى التعرف على طوائف وأسماء صناع المعادن بالقاهرة ومنتجاتها — عبد الرؤوف يوسف — تحفة فنية من عصر المماليك ( .

على أن ورود اسم الصانع محمد بن سنقر البغدادي على صندوق المصحف المذكور يذكرنا بكرسى عشاء الملك الناصر محمد بن قلاوون الذى يحتفظ به متحف الفن الإسلامى بالقاهرة والذى يضم بين كتاباته العديدة التى تغطى مساحة كبيرة من سطحه كتابة تعلق أرجل الكرسي ونصها : « عمل العبد الفقير الراجى عفو ربه المعروف بابن المعلم الأستاذ محمد بن سنقر البغدادي السنكرى وذلك فى تاريخ سنة ثمان وعشرين وسبعمائة فى أيام مولانا الملك الناصر عز نصره » ، وفضلا عن تشابه اسم الصانع فى التحتين فإن أسلوب زخارفهما يكاد يكون متشابها أيضا مما يؤكد أن الصانع المشهور قام بصنع التحتين معا فى وقت واحد تقريبا هو عهد الناصر محمد بن قلاوون .

والجدير بالذكر أن تكتب الصانع محمد بن سنقر بالبغدادي كما ظهر فى توقيعه على صندوق المصحف وعلى كرسى عشاء الملك الناصر محمد لا يعنى



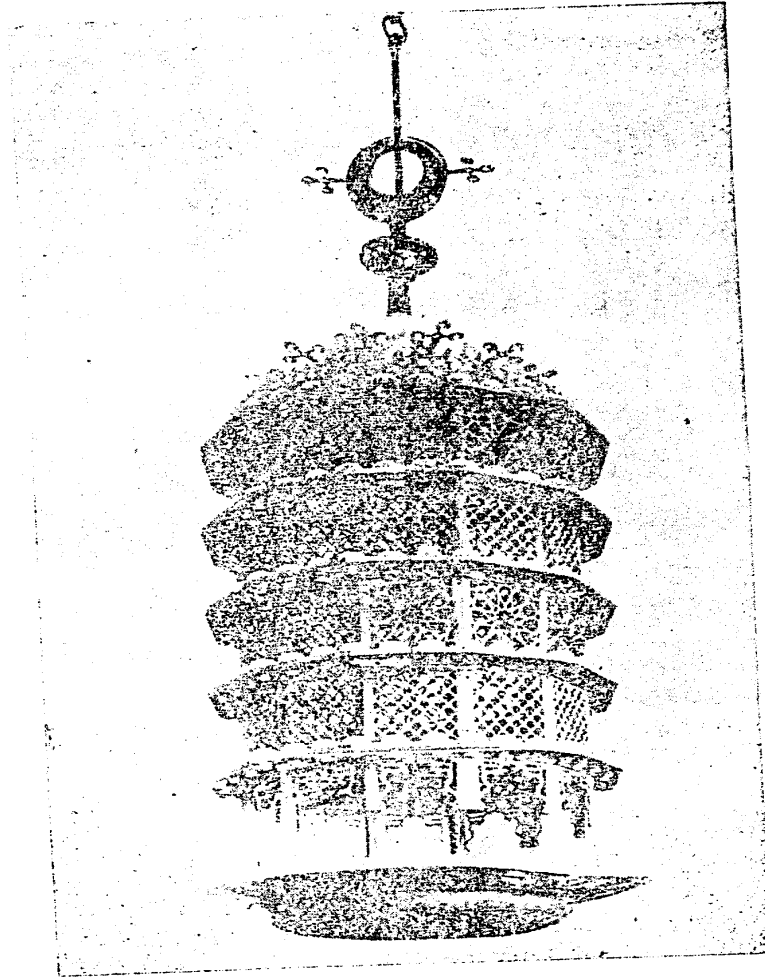
صناعتها ببغداد ، اذ انه من المعروف كما سبق القول - ان صناعات كثيرين قد هاجروا من العراق منذ منتصف القرن السابع الهجرى ( ١٣ م ) وزاولوا اعمالهم في ميدان الصناعات المعدنية الى جانب صناعات القاهرة وانتجوا الكثير من المنتجات المعدنية وفقا للروح والتقاليد الفنية الراسخة . ومن المرجح ان محمد بن سنان من احفاد احد هؤلاء الصناع او احد افراد اسرة تخصصت في صناعة التحف المعدنية المكنتة وعرفت بهذا الاسم نسبة الى بغداد وان كانت عاشت في مصر .

ويعتبر كرسى عشاء الملك الناصر محمد من اهم التحف المعدنية المملوكية ، التى انتجتها القاهرة اذ لا تعرف مثيلا له الا كرسيا نحاسيا آخر بالمتحف نفسه ، وان كان لا يشبهه ولا يساويه فى القيمة التاريخية والاثريه لعدم وجود كتابات عليه تؤرخه ومن هنا ظهرت قيمة كرسى الناصر محمد

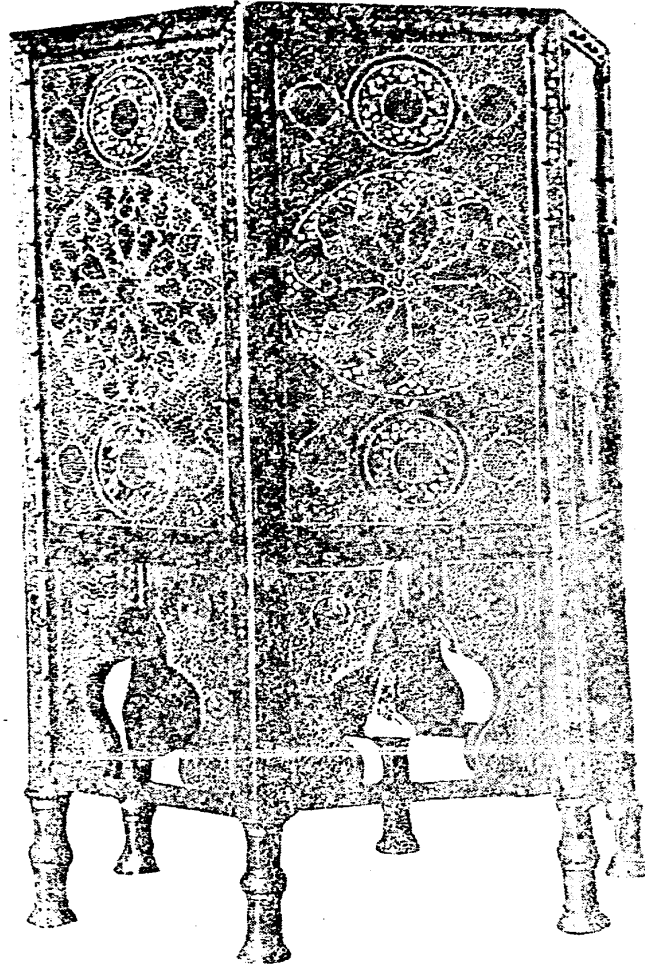
وقد شاع صنع واستعمال هذه الكراسى المسندة الاضلاع فى بلدان الشرق الاسلامى ولا تزال بعض امثلة منها مستعملة حتى الآن فى الريف المصرى ، وقد سميت بكراسى العشاء لاستعمالها فى حفل صوائى الطعام عند تقديمه وكانت مصنوعة من الخشب ، ولما صنعت من المعدن اتخذت نفس الشكل الخشبي تقريبا ، ولم يكن استعمال هذه الكراسى قاصرا على حفل صوائى الطعام فحسب بل استعملت كمناضد توضع فوقها المساحف بالمساجد والقصور السلطانية ، او لحمل الشماعد التى كانت تضاء ليلا بالمساجد (عند الصلاة) على يمين ويسار المحراب ، وبالإضافة لوظيفتها كحائل لا يستبعد استعمالها للزينة فقط بما توفر لها من زخارف مكنتة غنية وكتابات كثيرة اخشت على الكراسى مظهرها زخرفيا جديلا بجانب الزخارف الاخرى المخزمة خروما دقيقة وزعت فى تكوينات هندسية ونباتية دقيقة

ومن التحف المعدنية الاخرى التى وصلتنا وازدهرت صناعتها فى القاهرة فى العصر المملوكى الثريات والفتاير المعدنية التى كانت تزين بها المساجد والقصور السلطانية ومن امثلتها الثور النحاس الذى يحتفظ به متحف الفن الاسلامى بالقاهرة ويحمل اسم الامر قوصون الناصرى وتوقيع صانعه « بدر بن ابي يعلا » الذى اتم صنعه فى سنة ٧٢٠ هـ ( ١٢٣٠ م ) ، ويتخذ الثور شكلا منشوريا متمد الاضلاع تزينه زخارف مغرقة تكون اشكالا هندسية دقيقة واطباقا نجمية متكاملة وعقودا منقصة جميلة ، ويملأ هذا الثور قبة صغيرة وحلال .

وقد امدتنا القاهرة بعهد كبير من الشماعد النحاسية الكبيرة



— ثريا من النحاس بزخارف مفرغة عليها اسم الأمير قوصون الناصري  
واسم الصانع بدر بن ابي يعلا ٧٢٠ هـ — ١٢٢٠ م ( متحف الفن الاسلامى بالقاهرة )



— كرسى عشاء من النحاس المكث بالفضة — حوالى القرن الثامن  
الهجرى ١٤ م ( متحف الفن الاسلامى بالقاهرة )

والمصنوعة بأيدي صناعها فى العصر المملوكى ، ومن أمثلتها شمعدان السلطان  
قايتباى المحفوظ بمتحف الفن الاسلامى بالقاهرة وهو الشمعدان الذى كان قد  
اوقفه قايتباى على الحجرة النبوية الشريفة فى شهر رمضان سنة سبع وثمانين



من التماثيل المعدنية الصغيرة التى تتخذ اشكال الحوان او العنبر . من كانت بمثابة اجزاء من نافورات مائية أو قطعاً فنية قصد منها الزينة ، ونسجبة للصناعات التى كانت قائمة بين أوروبا ومصر فى المصور الوسطى انتقلت هذه الصناعة ومنتجاتها الى أوروبا وتأثرت بها فيما صنعت من آنية للسياح عرفت فى ذلك الوقت باسم اكوابا نيل كان القسس يستخدمونها فى غسل ايديهم قبل القداس وفى اثنائه وبعده ، وصنعت هذه الآنية على هيئة اباريق من النحاس الاصفر تتخذ اشكالا حيوانية أو أشكال طيور - ومن امثلتها الاناء المحفوظ بمتحف فرانكفورت وقد صنع هذا الاناء فى ألمانيا فى القرن الثانى عشر الميلادى - ويتخذ الاناء شكل ديك يصيح وقد زود بحروف لاتينية مكتوبة داخل شريط ضيق حول ريش ذيله - وان المتأمل لهذا الاناء الالماني الصناعة ليذكر لاول وهلة صلة التشابه بينه وبين ما شاع من هذه الآنية التى صنعت فى القاهرة فى العصر الفاطمى . كما يحتفظ متحف مبرج باناء من آنية الاكوابانيل التى تأثرت صناعتها فى أوروبا بما كان سائدا فى مصر فى العصر الفاطمى ، ويتخذ هذا الاناء شكل كلب يجلس متكئا على رجلبيه الاماميتين ، وهو من صناعة المانيا أيضا فى القرن الخامس عشر الميلادى وهو قريب الصلة بشكل التماثيل الفاطمية المعدنية ، وينبغى هذا الاناء على استمرار التأثيرات القاهرية فى هذه الصناعة حتى القرن الخامس عشر الميلادى فى أوروبا .

وبالإضافة الى ذلك انتقلت صناعة التكنيت من القاهرة الى المدن الإيطالية وخاصة البندقية ، وقد كان للتجارة المتبادلة بين المدن الإيطالية والبلاد الاسلامية فى القرن التاسع الهجرى ( ١٥ م ) أثرها فى نقل الكثير من منتجات الشرق المعدنية وخاصة الانتاج القاهري الذى كان يتصدر ما عداه من انتاج البلاد الاسلامية الأخرى حتى القرن الثامن الهجرى ( ١٤ م ) ، وقد اقبل صناع إيطاليا على تقليد ما كان يصل الى ايديهم من تحف الشرق المعدنية مما أدى فى النهاية الى ظهور مدرسة بندقية شرقية للمصناعات المعدنية تسيير وفقا للتقاليد الفنية الاسلامية . وتتضح التأثيرات القاهرية فى صناعة المعادن المكتنة الاوربية فى صينية من النحاس المكفت بالفضة من صناعة البندقية فى منتصف القرن الخامس عشر الميلادى ويحتفظ بها متحف فيكتوريا والبرت وتزخر فيها خطوط متعددة متعرجة ومتقاطعة نتجت عنها تكوينات زخرفية اسلامية تذكر بأسلوب الزخارف القاهرية الذى استعمل فى زخرفة المنتجات المعدنية المكتنة ، وتتوسط الصينية دائرة تضم فى داخلها رنكا يرمز الى أسرة « او كى دكانى » احدى الاسر النبيلة بمدينة فيرونا الإيطالية والتى تبعد عن البندقية بحوالى اثنين وستين ميلا الى غربها وقد غطيت المنطقة التى يشغلها الرنك بطبقة من المينا ، فكان هذه الصينية جمعت فى طريقة صناعتها وأسلوب زخرفتها بين

طريقتين من الطرق التى كان للمقاهرة دورا كبيرا فيها ونقصد بهما طريقة  
التكنيت بالنفزة وطريقة الترصيع بالمينا ( تراث الاسلام ج ٢ شكل ٨ ) .

والحق ان ما اسهمت به القاهرة فى مختلف عصورها التاريخية فى مجال  
الصناعات المعدنية وزخرفتها لا سبيل الى انكاره او التقليل منه وحسبنا ما  
تزخر به المتاحف الاثرية المملوكة من تحف معدنية تمثل تراثا صناعيا فنيا جديرا  
بكل اهتمام ودراسة .

## قائمة بأهم المصادر والمراجع المختارة

### أولا المصادر

القرآن الكريم

ابن الأثير

ابن بطوطة

ابن تغرى بردى

الجاحظ

الخطيب البغدادي

النسيزرى

الطبري

ابن دماطيا

القنقشندى

الكندي

الماوردي

المقدسى

المقرئى

التويرى

ياقوت الحموى

اليعةوى

: الكامل فى التاريخ - ١٢ جزءا .

: تحفة النظر فى عجائب الأمصار و غرائب الأسفار .

: النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة .

: كتاب التبصر بالتجارة - القاهرة ١٩٣٥ .

: تاريخ بغداد - القاهرة ١٩٣١ .

: نهاية المرتبة فى طلب الحسبة

: تاريخ الأمم والملوك .

: الفخرى فى الآداب السلطانية والدول الاسلامية .

: صبح الأعشى فى صناعة الانشا .

: الولاة والقضاة .

: الأحكام السلطانية والولايات الدينية .

: أحسن التقاسيم فى معرفة الأقاليم .

: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار .

: نهاية الأرب فى فنون الأدب .

: معجم البلدان

: كتاب البلدان .

### ثانيا : المراجع

: قصة الكتابة العربية .

: مرآة الحرمين الشريفين .

: فجر الإسلام .

: ضحى الإسلام .

إبراهيم جمعة

إبراهيم رفعت

أحمد أمسين

ظهر الإسلام .

مكتبة النهضة المصرية - ١٩٣٨ - ١٩٥٥ .

: مساجد القاهرة ومدارسها - جزآن .  
: التراث العلمى للحضارة الاسلاميه ومكانته فى تاريخ  
العلم والحضارة .

: الحضارة الإسلامية فى القرن الرابع الهجرى  
(ترجمة محمد عبد الهادى أبو ريده) .

: فنون الترك وعما نرهم (ترجمة أحمد محمد عيسى)  
: الملاحة وعلوم البحار عند العرب .

: تاريخ الحضارة الاسلاميه (ترجمة حمزة طاهر) .  
: بغداد - تاريخها وأثارها .

: مآثر العرب على الحضارة الأوربيهة - القاهرة

. ١٩٦٠ .

: حضارة العرب (ترجمة عادل زعترالقاهرة ١٩٦٤).

: تاريخ الاسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ..  
٤ أجزاء .

: النظم الإسلامية (بالاشتراك مع على إبراهيم حسن) .

: الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية .

دراسات فى الحضارة الإسلامية .

مدخل إلى الآثار الإسلامية .

القاهرة - تاريخها فنونها أثارها (بالاشتراك مع آخرين).

: تاريخ المساجد الأثرية .

المعالم الأثرية فى البلاد العربية .

حسين عبد الرحيم عليوه : الخط ، المعادن (بحثان بكتاب القاهرة تاريخها فنونها

آثارها ) .

الكتابات الأثرية العربية - دراسة فى الشكل والمضمون .



- ديمتد : الفنون الإسلامية (ترجمة أحمد محمد عيسى) .
- ديسلر : الحضارة العربية ، (ترجمة غنيم عبدون ) .
- زكريا هاشم زكريا : فضل الحضارة الإسلامية العربية على العالم .
- زكى محمد حسن : فنون الإسلام .
- الفنون الإيرانية فى العصر الإسلامى .
- كنوز الفاطميين .
- سليم عادل عبد الحق : مشاهد دمشق الأثرية .
- سهام مصطفى أبو زيد : الحسبة فى مصر الإسلامية .
- سيجيريد هونكة : شمس العرب تسطع على الغرب (ترجمة فؤاد حسين على) .
- السيد عبد العزيز سالم : الأندلس - المغرب الكبير .
- شكرى محمد عياد : الحضارة العربية .
- عبد الرحمن زكى : السيف فى العالم الإسلامى .
- عبد الرحمن فهمى : موسوعة النقود العربية وعلم النميات .
- عبد العزيز الدورى : النظم الإسلامية ، بغداد ١٩٥٠ .
- عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية - بيروت ١٩٨٢ .
- عبد اللطيف إبراهيم على : الوثائق فى خدمة الآثار .
- على بهجت وألبير جبريل : حفائر القسطاط .
- فتحية النبراوى : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية .
- فريد شافعى : العمارة العربية .
- قدرى حافظ طوقان : العلوم عند العرب .
- كريزويل : الآثار الإسلامية الأولى (ترجمة عبد الهادى عبلة) .
- كمال الدين سامح : العمارة الإسلامية فى مصر .
- كينل : الفن الإسلامى (ترجمة أحمد موسى) .
- محمد جمال الدين سرور : تاريخ الحضارة الإسلامية فى الشرق .
- محمد طاهر الكردى : تاريخ الخط العربى وأدابه .
- محمد عبد العزيز مرزق : الفن الإسلامى - تاريخه وخصائصه .

الفنون الزخرفية الإسلامية .

محمد عبد الله عنان : الآثار الأندلسية الباقية .

محمد كرد علي : الإسلام والحضارة العربية - جزآن .

مصطفى الشكعة : معالم الحضارة الإسلامية .

ناجي معروف : عروبة المدن الإسلامية .

هل : الحضارة العربية - القاهرة ١٩٧٩ (ترجمة إبراهيم العدوي).

## فهرس الموضوعات

١	تقديم	
٣	الباب الأول : نظم الحضارة الإسلامية ومظاهرها .	٢
٤	مقدمة : أسس الحضارة الإسلامية الروحية والمادية ، والبشرية	٣
٩	الفصل الأول : النظم الإسلامية :	
١٠	( أ ) نظم الحكم (الخلافة ، الوزارة ، الإمارة ) .	
١٥	(ب) النظم الإدارية والمالية ( الدواوين ، الكتابة ، الحجابة ،	
	الحسبة ، الشرطة ، البريد ، النظام المالي ) .	
٢٩	(جـ) النظم القضائية (القضاء - النظر في المظالم ) .	
٣٢	(د ) النظم الحربية (الجيش - الأسطول) .	
٣٥	الفصل الثاني : مظاهر الحضارة الإسلامية :	
٣٦	( أ ) المظاهر الاجتماعية (الأسرة طبقات المجتمع ، الاحتفالات ،	
	المواكب ، الألعاب الرياضية) .	
٤١	(ب) المظاهر العلمية والأدبية والفكرية (العلوم الدينية ، العلوم	
	اللغوية ، العلوم العقلية ، معاهد العلم ومؤسساته) .	
٦٩	(جـ) المظاهر الاقتصادية (الزراعة ، الصناعة ، التجارة ، النقل) .	
٧٩	الفصل الثالث : إنشاء المدن :	
	( أ ) الفسطاط . (ب) بغداد . (جـ) القاهرة .	

٨٦	الباب الثاني : الآثار الإسلامية
٨٧	مقدمة : تعريف بعلم الآثار ، ودراسة الآثار الإسلامية ، الفنون الإسلامية ودعائنها ، طرز الفنون الإسلامية وخصائصها ومجالاتها .
٩٨	الفصل الأول : فنون العمارة الإسلامية ( المسجد الحرام بمكة ، قبة الصخرة بالقدس ، الجامع الأزهر بالقاهرة ، بيمارستان قلاوون بالقاهرة ) .
١٠٥	الفصل الثاني : الفنون التشكيلية الإسلامية ( فن الخط العربي ) .
١١٩	الفصل الثالث : الفنون التطبيقية الإسلامية ( فن المعادن الإسلامية ) .
١٣٨	قائمة بأهم المصادر والمراجع المختارة .
١٤١	فهرس الموضوعات .